

# من أعماق السكون

- النسخة الكاملة -



محمود عباس مسعود  
الولايات المتحدة

## إهداء

إلى روح شقيقي

## حمد

أهدي هذا التأملات

## تعريف بهذا الكتاب

منذ حوالي الثلاثين عاماً وقع في يدي كتاب بالإنكليزي عن تجربة تأملية عرفانية لباحث عن الحقيقة اكتفى بالتعريف بنفسه بكلمة (مريد). التجربة حصلت له في مطلع القرن العشرين في أحد كهوف الهملايا وكان دون العشرين من عمره. أعجبت بالكتاب وقرأته مراراً ثم قمت بترجمته ترجمة شبه حرفية بما تيسر لي آنذاك من معرفة متواضعة باللغة العربية وبحسب الإمكانيات والأدوات المتاحة، وبذلك أعني القاموس العصري الذي استفدت منه مثلما استفدت من غيره من القواميس فيما بعد.

الترجمة أرسلتها في منتصف السبعينيات من القرن الماضي إلى قريب لي قصد الإطلاع وليس الطبع. وقد فوجئت منذ العام تقريباً عندما طالعت على الإنترنت مقتطفات من تلك الترجمة في إحدى المواقع العربية وعلمت فيما بعد أن الكتاب لاقى قبولاً واسعاً بين المهتمين بالوجدانيات الروحية، وأنه يتم تصويره وتداوله حتى اليوم.

الترجمة القديمة ربما حملت في تضاعيفها حماساً فنياً وطاقة شبابية واندفاعاً حاراً لنقل أفكار جديدة إلى لغتنا العربية لكن تلك الترجمة لا تعكس بالضرورة أسلوب الأني في كيفية تعميم ونشر تلك الأفكار. وقد لاحظت أن بعض الكلمات التي لم تكن واضحة على ما يبدو في المخطوطة تم استبدالها بكلمات أخرى لا تفي بالمعنى الأصلي المقصود.

لقد حاولت تحديث الترجمة لكن لم يكن بالمستطاع التقيد بالأصل لاعتبارات عديدة لا مجال لذكرها هنا. فقامت باستعمال ذلك الأصل كأساس لأبني عليه هذا الكتاب، إنما أعتزف بأن محتويات (من أعماق السكون) غير مطابقة لمحتويات (في ساعات التأملات) بالرغم من بعض التشابه في عبارة هنا ومقطع هناك.

وبما أن (في ساعات التأملات) انطلق في مسيرته بغفلة مني أقول: على بركة الله ولا بد أن القارئ المشتاق سيجد فيه الكثير من الدفاع الوجداني والتجربة الصوفية وتيارات غير عادية تهز وتهدهد حيناً وتزأر وتهمس أحياناً أخرى. ومع ذلك أطلب من القراء الأعزاء لذلك الكتاب ولكتب أخرى من ترجمات قديمة لي طُبعَت دون معرفتي مثل (تأملات ميتافيزيقية) و (قانون النجاح) و (كيف يمكنك مخاطبة الله) و (القول المأثور في معارج النور) أن لا يقيّموا آرائي وأسلوبِي في استعمال مصطلحات لغتنا العربية المحبوبة على ضوء تلك الترجمات التي لها مكانها في قلبي، إنما انطلقت في سبيلها فتية قبل أن أودعها وأعدّها كما يجب لمشوارها الطويل. وأود أن أشكر معدّ تلك الكتب على الكلمات الطيبة التي قالها في المترجم.

لقد علمت أن المشتاقين إلى الثمار المباركة هم في تزايد مستمر وبحث متواصل عن المغذيات الروحية الفعلية. وبما أن الحياة أنصفتني بكنوزها فلا بد لي من مقاسمة تلك الكنوز مع الراغبين في امتلاكها.

فلمثل أولئك الطامحين جمعت وترجمت ووضعت هذه الفراند وسيتبعها غيرها بعونه تعالى ما دام لها من يقدرها ويجد فيها إمتاعاً معنوياً ووعناً روحياً.

أما الذين يشعرون أن هذه الوجدانيات لا تتحدث إلى عقولهم ولا تحرك أوتاراً في قلوبهم، فرجائي لهم عدم تكليف أنفسهم عناء مواصلة القراءة لأن هذا الكتاب غير مخصص لهم، ولعلمهم سيجدون ضالته في غيره من الكتب.

مع خالص المودة  
محمود

## إلى شقيقي حمد

عندما وضعت ترجمة هذه التأملات أو نظائرها الأولى بين يديك منذ عشرات السنين، استقطبت اهتمامك بشكل ملحوظ فأضيت ساعات طويلة في قراءتها وإعادة قراءتها بشغف وتركيز كبيرين. وما زال ثناؤك وتشجيعك ماتلين بجلاء في أروقة الذاكرة وأعماق الوجدان.

وها أنا يا شقيقي الحبيب أهدي مجدداً إلى روحك الزكية هذه التأملات مع تأملات أخرى لعلك تبصر روحها وتلمس معانيها مجسدة في عالمك السعيد بعد التحافك بالرفيق الأعلى الذي بقيت تردد اسمه الكريم حتى لحظة الوداع الأخير.

ومع هذه التأملات، وبالنيابة عن أشقائي وشقيقاتي، أثبثك هذه الخواطر المجسدة في هذه الأبيات:

كلما فكرتُ بالماضي البعيد  
ورجعتُ سنواتٍ للوراء  
ألمحُ طيفك يظهر لي  
عهدٍ وِدٍ وإخاءٍ ووفاءٍ

كنتُ نبراساً لنا عند الصغر  
وتمتعتُ بحبٍ غامرٍ  
وعملتُ جاهداً كي نتنصر  
ومنحتُ مثل نهرٍ زاهرٍ

وهجرت الوطن من أجلنا  
وبذلت بشهامة وسخاء  
فشعرنا أن في الدنيا لنا  
من يضحّي ويعلمنا العطاء

يا شقيقي ازدنا شوقاً للشقيق  
وتذكرنا السنين الخالية  
حبك في القلب ثابت وعميق  
ومكانتك لدينا غالية

سوف نذكر لك أفضالاً عميمة  
حفظ الله لك أفضالك  
والتحيات إلى النفس الكريمة  
كثر الرحمن من أمثالك  
لنا أنت مثلما نحن لك

محمود

هناك ساعات ينسى خلالها الإنسان العالم ..  
ساعات يقترب فيها من آفاق النعيم حيث تستقل النفس بذاتها و تكون في حضرة العلي القدير. فيهدأ  
صراخ الرغبات ويصمت ضجيج الحواس ويصبح الوجود الأوحد لله.

ما من محراب أقدس من الفكر النقي.. الفكر المركز على الله.

أما آفاق السلام التي يؤمها الفكر عندما يستغرق العقل كلياً في الله وعندما تصعد الأفكار إلى بارئها  
الأعظم فتغني عن المسك والبخور وعن كل الطقوس والنذور.

النقاء – الفرح – السكينة – السلام.. تلك هي مرتكزات التأمل حيث يبزغ الوعي الروحي في تلك  
الساعات الصامتة المقدسة وتقترب النفس من مصدرها المبارك.

جدول الشخصية يتمدد ويتسع في تلك الساعات ليصبح نهراً متعاضماً ينطلق باتجاه الذات العليا التي  
هي الوعي الإلهي الأوحد الذي لا ثان له.

في ساعات التأملات تستقطب النفس كل طاقاتها التي تؤهلها للإحساس بالحق والخلود والتحرر من  
الهموم والمخاوف.

فيا أيتها النفس اعتصمي بحبل الله وثقي به وبذاتك وابحثي عن الحق في ساعات السكون.

واعلمي أيتها النفس أن ذاتك انبثقت عن جوهر الحقيقة وأن الله يسكن قلب القلب وروح الروح.

لا تخشي كل ما هو زائل لأنه ظل لا دوام له. المظاهر الوهمية دائمة التقلب بينما الحقيقة راسخة لا  
تخضع للتغيير ولا يتطرق إليها التبديل.

أيها المرید الباحث عن الحق والحقيقة.. اعلم أن شكلك هو حلم صغير ضمن الحلم الكوني الكبير،  
وثق أن روحك المتصلة في الذات الإلهية لا شكل لها. فهي ليست الفكر أو مادته، والرغبات  
والأحداث لا تمس جوهرها النقي الذي هو من جوهر الله الخبير القدير.

وتذكر أن الحياة مسرحية ينبغي تمثيل أدوارها دون تحقق وارتباط.. وأن مادة الحياة الدنيا هي أحلام بأحلام بينما جوهر الروح لا يحلم كونه دائم الإستفاقة واليقظة خلف سراب الوهم ودخان الضلال.

فاكتسب تلك المعرفة وتحرر من قيودك التي تصدك عن مواصلة السير وتشدك إلى هذا المستوى الأرضي الكثيف.

وإذ تتناغم مع ذاتك الروحية ستحس بالسلام يغمر قلبك ويسري في عروقك فيوقظ خلايا دماغك ويفتح بصرك الروحي وتعلم أنك قريب من الله وهو منك قريب ، وأن لا انفصال بين المحب والحبيب ما دام التواصل موجوداً والوجد متواصلًا.

ويستطرد الصوت المبارك هامساً:

كن على يقين أنك ما دمت تؤمن بالله وبأنه يسكن روحك ستحس أنه معك دوماً، يلهمك، يواكبك، ويرد عنك الأذى أو يخففه عنك لدرجة الاحتمال. عندئذ ستدرك معنى الاتحاد واستحالة الانفصال عن مصدرك الرباني الذي لا دوام إلا له ولا بقاء إلا به في الوجود.

لقد آن الأوان كي تهجر الأحلام وتبصر شمس اليقظة الروحية ساطعة قوية في كيانك.

ألا إن شعاعاً واحداً من تلك الشمس المباركة كفيل بتبديد ظلمة الدهر بمثل لمح البصر. ومع ذلك السطوع الفوري القوي يأتي الإحساس بشفاء القلب من الهموم والأوهام والمخاوف والألام.

طب نفساً ولينشرح صدرك. ومتى التهبت نيران الشوق في أعماقك ستحس من جديد بالحضور السعيد وستدرك أنك على اتصال مع محقق الأمنيات والآمال. أجل، ستسمع عندئذ صوت الحق هامساً، مشجعاً ومباركاً.

هو الله ساكن الأعماق ينتظر منك دعوة صادقة كي يزور قلبك ليغمره بغبطته وسلامه، ويغسله بمياه المعرفة المقدسة.

لا تجزع من صروف الدهر ولا تتصدع أمام لكلمات الحياة ولطمات التجارب مهما كانت عنيفة عاتية.

وكالبوصلة التي كيفما حركتها تتجه إبرتها نحو الشمال، هكذا ليتجه عقلك دوماً نحو قطب الحق السرمدى ولينبض قلبك بحب الله وأنبيائه وأوليائه وقديسيه والبشرية جمعاء، وستخف أثقالك وتثقل موازينك في نظر الرحمن.

فتوكل على الله وانتظر الوعد الحق، فكل آت قريب ووعد الله لا يخيب.

وعليك السلام أيها المرید.

وفي ساعات التأملات وأعماق السكينة يسمع المرید الصوت المبارك – صوت السكون – يهمس لروحه:

انظر وتأمل! هناك عالم باطن مثلما يوجد عالم ظاهر. هناك كونٌ روحي مثلما يوجد كونٌ مادي.

أي بني! إن كان العالم الخارجي يحوي عجائب وخفايا واتساعاً وجمالاً وعظمة فهناك عظامٌ لا تُقدَّر وقوى لا متناهية ونعيم لا يوصف وسلام لا يُستقصى وحقيقة لا تتزعزع أسسها في العالم الروحي الباطني.

العالم الخارجي ليس سوى ظل للعالم الداخلي. وفي هذا العالم الباطني تكمن طبيعتك الحققة. هنا تحيا في الأزل غير المحدود بينما العالم الخارجي مقيد بالزمان ومحدود بالمكان.

هنا توجد غبطة روحية لا تُسبِر أغوارها ولا ينضب مددها، بينما في العالم الظاهري لا توجد سوى أحاسيس من اللذة ممزوجة بالكثير من الألم .

وهنا أيضاً يوجد ألم! ولكن أتعلم طبيعة ذلك الألم؟ إنه ألم الروح، ومبارك حقاً هو ألم الروح! إنه غصة الشوق ولوعة الحنين التي يحسها الطالب المريد بسبب عدم إدراكه التام للحقيقة. لكن هذا الألم هو الطريق إلى السعادة الكبرى والنعيم الدائم.

تعال وأغمر نفسك في سكون العالم الباطني .  
تعال على أجنحة الحب الجارف والشوق المتعظيم.

يا بني! الصمت هو طبيعة الحب الذي لا يمكن التعبير عنه إلا بالصمت!

أجل، الحب هو ذلك الشيء الذي لا يمكن وصفه أو التعبير عنه أو النطق به. وفي أعماق أعماق الصمت يوجد الله.

دعك من الدنيا وأوهامها واهرع إلى قلب الله. وبالله عليك لا تغفل التفكير به ومدائمة ذكره القدوس الذي تظمنن بذكره القلوب والنفوس.  
ثق أن محبته قادرة على تخليصك من كل الهموم والمتاعب.

كثيرة هي الهياكل التي يتعبد فيها قلب المريد، حيث ترتفع أفكاره لله كالند والبخور في أقدس أقدس الروح.

ألا فتفعل كل شيء بقلب محب ونية صافية وستبصر نور الله بك ومن حولك وفي كل الكائنات والموجودات.

واعلم زادك الله علماً أن الله هو نبع الجود وأعظم ما في الوجود!

هناك في قلب العالم الباطني، الذي يدخله المريد بفضل وفعل المحبة الوقادة أو الدعاء الحار، عوالم تلوها العوالم من الألوهية يستبصرها ذوو الأشواق ويختبروها في الروى والإلهام.

الله قريب كل القرب لا من الناحية المادية وحسب، بل الروحية أيضاً، لأنه هو روح النفس ونفس الروح.. روح الحق وحقيقة الروح!

هو الذي يعلّم أفكار المرء ونواياه وطموحاته وأسرار قلبه.  
أحبب إكراماً للحب أيها المريد. اعمل محبة في العمل واعتكف في محاريب الصمت لتتقرب من جوهر الحقيقة.  
وكلما تعمقت في داخلك كلما زاد اقترابك من الله الرحيم والمقيم في سويداء القلب.

الله هو المغناطيس الذي يجذب لنفسك الروى الصادقة والإلهامات العليا. إنه الروح الكوني الذي لا تمسه الأفكار ولا تحده الصور والأشكال. هو الحصن الذي لا يقحم والأساس الذي لا يتزعزع! هو عنصر الوجود الأزلي والديمومة التي ليس لها انتهاء.

لكم هي رائعة ومدهشة الإلهامات القدسية التي يحسها المريد في ساعات السكينة والتأمل!

وهنا يتوجه المريد إلى الروح المرشد هامساً بشوق عظيم:

أيها المبارك المغبوط، بالحق والحقيقة إنك على معرفة وثيقة بالله وإنك واحد مع جوهر التعاليم التي تتحفني بها. اشهد أنك على صلة أكيدة وعميقة بالله الواحد الأحد الذي هو الكل في الكل في العوالم المظهرية، البادي منها والمحتجب!

حقاً إن طبيعة الله هي الوحدة بالرغم من وجود الخداع الكوني الذي يضيء على الأشياء وهم التعداد.

الروح جوهره واحد لا يتجزأ. هو فيض النور النقي الذي يراه الناس من خلف عدسات كثيرة ومتعددة الألوان.

أيها المرشد الحبيب، بالله خذني إلى الأعتاب الإلهية لعني أبقى قرب الله طوال الأبد.

عندئذ امتدت يدٌ خفية ورفعت نفسُ المرید إلى السماء السببية فأبصر جوهر الألوهية الكامنة في البشر، وأدرك المجد العظيم ما وراء الضعف البشري، ورأى أن كل شيء كان مقدساً. وفي وسط تلك الرؤية البهيجة البهية أظهر له الروح الكلي قمة جبل المعرفة، فقال وقد اعتراه الذهول:

ما هذه الروائع يا سيدي وكم يحلو لي التأمل على الجمال الإلهي؟!  
ألا ليت تأملاتي على نور الحق الأقدس تدمغ حواسي بخواص الروح وتأتي بالطمأنينة إلى قلبي وعقلي.

فبسكينة العقل أبصر روح السلام وبطمأنينة القلب أحس بسلام الروح.

وما هذا الوهج والإنبلاج؟!!

ليتني أمتلك القدرة على وصف مشاعري والتعبير عن بهجتي المتعاطمة!

يا ذا النعمة والمعرفة الكلية، باركني بالأفكار الجميلة النبيلة عني أستجمع قوى الخير وأتجه إليك بكليتي.

يا مصدر منابع الغبطة، خذني إليك لأروي ظمأ روحي من ماء الحياة المنسكب من رياض الأزل.

لن أسألك بعد اليوم عن طبيعتك وكيفية التحدث إليك والتواصل معك. فطبيعتك هي الحب النقي وبلغة القلب يمكن مخاطبتك والتقرب منك.

ومع أن الكون بأسره لا يتسع لحضورك المديد، إلا أن قلوب محبيك تكفي لاحتوائك وهي من بين كل ما صنعه يداك المكان المحبب إليك.

هناك في أعماق النفس تكمن دنيا التأملات التي هي أرحب من الفضاء الخارجي وأعمق. لا توجد ظلمة هناك لأن السيادة للنور، ولا جهل لأن الوجود للحكمة.

هناك لا الموت يتبختر، ولا النار تحرق..

لا الريح تجفف، ولا الماء يُغرق..

هناك الأفلاك الربانية العليا. وخلف الحياة وما فيها يكمن الكائن اللانهائي الذي لا تبلغه العقول ولا تسعه المدارك.

في ذلك البهاء الذي يعصى على الوصف خاطب الصوت الملائكي المرید قائلاً:

يا بني، هذا الإرث السماوي هو لك بعونه تعالى. وهذه القوة اللانهائية التي لا تُقهر لك فيها نصيب. فما أنت بالواهن ولا الضعيف ما دامت قوى الكون في متناولك!

صحيح أن الجسد يصبح جثةً هامدة عندما تمسُّه يد المنون، لكن الروح حرٌّ على الدوام لأنه بلا قيود وحدوده فقط عند خط اللانهائية.

وإذ اندمجت نفس المرید بروح المعلم المرشد قال وقد غمرته نشوة من الفرح العظيم:

كم هو مدهش يا مولاي! إذاً لا يوجد موت!

فأجاب الصوت المبارك:

ولا وجود للإحساسات الخشنة أو المشتبهات الكثيفة. فالذين يتعطشون لإرواء أشواقهم المادية يتمرغون في أوحال الحواس ويتراكمون وراء سراب الجشع وأوهام المطامع. طريقهم طويل ومحفوف بالمخاطر. ألا فلتترفع يا بني عن كل ما يعيق تقدمك ويصد مسيرتك نحو رب الأرباب.

انظر للأعلى! نحو الكائن السرمدي.. نحو الأنوار الأزلية، وهذه الشهب الكريمة ستخترق ظلمة نفسك وتثيرها بضياء الله.

وإذ أصغى المرید بانبهار لهذه الكلمات، تذكر أن طبيعة الروح هي القداسة والنقاء، وأن الغاية هي التحرر هنا الآن، في هذا المكان وليس بعد الموت! وغاية النفس هي معرفة الذات، حيث يمحي الزمان ويتلاشى الوعي المادي، وحيث النور والحق والسلام في سطوع أبدي دائم. وحيث تنتهي كل الأحلام، وتذوب كل الرغبات في المعرفة اللانهائية.. تلك المعرفة المقدسة التي هي البحر الكوني.

ويا له من إحساس عظيم بالاتساع الشامل! بالحرية القصوى! بالذوبان في المطلق اللانهائي!

بعد بلوغ السكينة الداخلية تحدث الصوت الهادي الهادي قائلا:

الخير يا بني أقوى من الخبيثة وجذوره في النفس أعمق من جذور الشر. الخير هو نسيج العالم وعنصره الجوهرى، هو الصلاح الذي لا شبيه له ولا يقع تحت مقارنة. وما الشر سوى شيء نسبي لا حقيقة مطلقة له، ومع ذلك يجب تلافيه لأن البعد عنه خير.

بحار النفس يا بني تزخر أعماقها بصخور الحكمة والحقيقة التي لا تتزعزع ولا تتفتت. وعلى هذه الصخور يجب أن تنكسر دوامات الظلمة والشر والخبيثة. صحيح، على السطح قد تعصف رياح التجارب العنيفة وتتلاطم أمواج العواطف والشهوات - ساعات هوجاء من الظلمة والخداع - لكن المعرفة هي كلية القدرة، تجرف جانباً كل صنوف الشرور مهما بدت مستفحلة، وتقضي على جذور الشهوات الخبيثة مهما زحفت وامتدت في تربة النفس.

لذلك، حتى في قلب الظلمة تذكر النور ووسط صراخ الخطايا استعن باسم الله! والله سبحانه وتعالى سيصغي لصلواتك ويستجيب، سيرسل إليك ملائكة الرحمن ليشدوا أزرعك ويرفعوا عنك وزرك.

لا توجد قوة أعظم من قوة النفس المستمدة من قوة الله. ففي أعماق نفسك تكمن روح الألوهية. إن ومضة واحدة من تلك الروح المباركة كفيلة بدحر جحافل الديجور وتبديد فلول الأضداد والتعداد. في جوهرك أنت متحرر يا بني ونقي وظاهر لأنك صورة الكائن الأقدس.

قوى الكون بأسرها تعمل معك ولأجلك. فضع هذه المعرفة نصب عينيك ولتكن أسمى غاياتك تحصيل جواهر العلم العرفاني المبارك. إن شعاعاً واحداً من لهب الرؤية البديعة كفيل باجتثاث جذور الشر من القلب مهما كانت دقيقة وعميقة.

اعلم أنك انبثقت عن روح الله الحي القيوم وحياتك ليست محصورة بهذا المكان أو ذلك! إنها راسخة في الأبدية. أما الإحساس بالخبيثة والشعور بالندم والتحسر على ما فات فكلها من ثمار الجهل ومادتها الأحلام والأوهام.

طبيعة الخبيثة هي الضعف فكن قوياً! إن لمحة واحدة من كيانك الجوهري ستزيل آثار الخوف من نفسك وتوظفك من سباتك العميق.

اعمل على تبديد الجهل الذي يقيد الإنسان بروابط وتعلقات شخصية كثيرة تحده وتصدّه عن إدراك وحدته الجوهرية مع الذات الكلية.

واعلم أن الجسد هو رداء وقتي معرّض كل حين للتبدل والتقلب. إنما جوهرك الروحي ثابت لا يتغير طوال الأبد. فأنت الذات المطلقة غير الخاضعة لعناصر المادة ومؤثراتها.

تأمل مجد الحقيقة السرمدية التي عنها انبثق الكون وفي بحرها يعوم، وتفكر بروعتها المشرقة ذات الأنوار الإلهية المتفجرة من أعماق الحق علك تدرّك أن الذات العليا تسكن بك مثلما تحيا فيها.

ولا تنسَ أن معرفة الذات تعني الوحدة الكونية والوعي بالوجود الكلي، ومعها تأتي فيوض النور وأفراح السماء.

واعلم أن في السكينة قوتاً روحياً وقوة باطنية. فلتنشد تلك السكينة علك تتواصل مع كيانك المعنوي وتتصل بذاتك الجوهرية. أما الرغبات الجامحة والتعشش للتملك والملذات فهذه الأمور التي احتلت مكاناً ومكانة من شخصيتك في مرحلة من مراحل عمرك قد آن لك أن تتخطاها أو تزحجها من درب روحك الوثابة المنتشوقة للإطلاق إلى رحب الأفاق.

عندما ترسخ قدمك على الطريق لن تبالي بالفشل ولن تتأثر بمغريات النجاح. بل ستجد نفسك مشحوناً بوعي الحرية إذ تمشي وتواصل السير الوئيد الأكيد نحو مشارف الإنعتاق الذاتي.

لقد صاغ الحق الأعلى جسمك هيكل له ورصّعه بأقباس نوره الأبهي. فكل القوى الكامنة في كيانك هي هبات من خزانة الله الكونية الزاخرة دائماً وأبداً بكل ما هو جديد ومجيد.

إنه الله سبحانه الذي يتربع على عرش روحك ويوحى لك الأفكار الأصيلة والمزايا النبيلة.

لقد أبدعك نفساً حية من كيانه وأودع فيك قوى لا متناهية وها هو يأتي بك إلى مجد تجلياته ويشحن كيانك بالهام حبه الأبدي علك تبصر صورتك النقية معكوسة في مرآة الروح ذات الصدق والصفاء.

يا من أنت قطرة من أوقيانوس الوعي الكوني الذي لا ساحل له. لم تكن تعرف شيئاً عن وجودك قبل أن يوقظك الإلهام العلوي ويسكب طاقاته الحية في شرايين كيانك. فتذكر منشأك واعمل على تقطيع القيود وهدم الحواجز والسدود التي تعيق مسيرتك وتحول دون بلوغك غايتك القصوى.

وإذ أصغى المرید بلهفة للصوت المقدس راح يخاطب نفسه قائلاً:

لقد قيّدتَ نفسك أيها المرید بالخوف والمشتهيات والغرائز وحب النوم والأفكار المحدودة. وبمحض إرادتك ألقيت ذاتك في مجاهل الجهل وغياب الظلمة. وما أنت ما زلت تحلم يا صاح! فهلاً بددت الأحلام ومعها أفكار اللذة والألم؟ عندئذ سيُزاح الستار الحديدي الصفيق للوعي الجسدي مرة وإلى الأبد.

المهمة التي في انتظارك هي جسيمة وهائلة. والوهم الكوني هو أوهى من نسيج العنكبوت وأكثر صلابة من الصوان والجلمود.

أيتها النفس! ألا هبّي لنجدة ذاتك! هذه الأحبولة الجسدية صنعتها يداك وبمقدورك الإفلات منها، وما عليك إلا أن تعرفي ذاتك وتدركي طبيعتك التي لا يقدر الفضاء بما فيه من شمس ونجوم على محوها من سجل الوجود.

يا نفس اهجري صحاري الظلمة وودعي أصقاع الجهل. كل شيء هو من صنعك. الألم قد يكون أفضل من اللذة والحرمان أشهى من المتعة. لأن بالألم والحرمان يفتش العقل عن الحلول ويجد في البحث عما هو حقيقي وثابت في الحياة؟

يا نفس لا ترهبني شيئا في الحياة وعندها ستبصرين الخلود حتى في رهبة الموت.



الحياة المادية أفضل ما فيها أحلام. لكن يوجد عالم آخر عظيم. وفي نهاية المطاف ستبصرين الوحدة في كل مكان وزمان.. أجل الوحدة القدسية الكلية الشمول.

الشمس واحدة مهما تعددت حبالها! الشمس هي الشعاع مثلما الشعاع هو الشمس. وأنت أيتها النفس واحدة مع شمس المعارف الكلية. فاعلمي أنه حتى في قلب الظلمة يسطع النور.

احفظ يا رب بصري مشدوداً إليك ودعني ألمس قدسية كمالك علني أحظى بنعمتك وأفرح برؤية مجدك المتجلي في الخليفة.

وباركني كي أعثر على الإلهام والشجاعة في القوة الروحية المنبثقة عن التناغم معك والتعرف على حضورك في أعماق الروح.

ساعدني كي أتخلص من القناعات الواهمة والأفئدة الواهية للزهو والكبرياء علني أبصر نور الوعي النقي في كل الصور والأشكال، وألمس الحضور السعيد في الحقيقة المتحررة من كل الأشكال والصور.

ألا فلأدرك وعيك الأسمى في كياني بتوجيه عقلي وقلبي إليك في شوق مذيب .  
ولأدرك أنك الكل في الكل في الوجود المطلق والمحدود، وأني واحد معك الآن وإلى الأبد..

ساعدني كي لا أرى بعد اليوم نفسي منفصلاً عنك، بل أحس على الدوام بأنني أحيا بوعيك الكلي وروحك الإلهي.

يا من أنت التناسق الكلي وروح الحب وجمال الجمال..  
دعني أدرك أنه بالتأمل عليك والتوجه القلبي إليك تتفتح ورود البصيرة في بساتين القلب وتهب نسائم الغبطة على رياض الروح!

لقد انتبقتُ من قلب الأزل لمعاينة مجدك اللانهائي.. وها أنا ما زلت مسافراً على دروبك، مدركاً في قرارة ذاتي أنني سأعود إليك.. إلى أبدية اللانهائية بعد اكتمال رحلتي ومغادرتي شواطئ هذه المحطة الأرضية بنفس رضية.

إنني دائم البحث عما يمكنني العثور عليه في أعماقي..  
اللانهاية تغمر روحي وتملاً كياني..  
وتكشف لي الرؤى عن الوجه الكوني الفائق الجمال.

لقد تجسدتُ على هذا المستوى الأرضي علني أدرك وحدتي مع الوعي اللانهائي وأحس بحضوره الأبدى في الخليفة المتناهية..

إن نفسي تجوز عبر مراحل عديدة في مسيرتها نحو منابع العرفان..  
وفي تأملي أطمح إلى تعميق إحساسي بوحدتي مع الذات الكلية..  
وتتملكني رغبة قوية في تكريس طاقاتي وأشواقني للبحث عن ذلك الجوهر الفرد الذي لا وجود إلا له ولا حياة إلا به.

وإذ سمعتُ نفسُ المرید هذه النداءات والإيحاءات الذاتية دخلتُ مراحلَ عميقة ومتقدمة من التأمل فأدركُ فعلاً أن الشعاع هو الشمس والشمس هي الشعاع.

مرة ثانية يشعر المرید بالحضور الرباني في ساعات التأملات وأعماق السكون ويسمع هاتفاً إلهياً يقول:

في الصمت الأقوى من كل صوت، وفي السلام الأزلي تسكن طبيعتك بعيداً عن صخب الحواس وعن ويلات الألم والفاقة والحرمان...

خلف الشعور بالخطيئة والخوف تكمن الألوهية الموجودة حقاً.

الحلم شيء رائع وأروع منه الحالم!

نفسك خالدة ونقية أيها المرید.. وهي دائمة الحياة خلف بوابات الموت.. وأبدية الرسوخ في روح الرب الأعظم.

الخير والشر نسبياً، لكن نفسك موجودة ما وراء العقل والتصورات.. واحدة مع الضياء الأبهي والسناء الأسمى!

روائع طبيعتك تفوق كل شيء! فهي لا تخضع للقياس ولا تقع تحت المقارنة.

وهنا يرفع المرید قلبه لله ضارعاً:

رباه.. يا أيها الكائن السماوي الأقدس. يا من أنت متوج على عرش السموات! هب لي المعرفة الصحيحة لنفسي واليقظة الأبدية لروحي عليها تغوص في قلب الأزل وترتوي من مياهك السرمدية.

أيها الواحد في الجميع، في كل ما هو موجود أنت الروح الحي! من له القدرة على أن يشير إليك بينان الحياة الفانية! خلف كل المظاهر أنت الباقي. وفي قلب الأفكار أنت الرقيب العتيد على كل الأشياء. أنت كائن ما وراء الشمس والنجوم والأقمار! اكتب لي النصر المبين على جيوش الحواس في مقارعة الرغائب والوسواس!

فيواصل الصوت المبارك حديثه إلى نفس المرید:

ألا مهما شمخت قمم الجهل والغباوة، وعمقت أغوار الخطيئة والبلايا، يبقى الكائن الأسمى متحرراً لا يحده اتساع ولا تسعه حدود. إنه الواحد في التعدد والمتعالي على كل الأضداد!

المرشد قريب منك! فعندما يغلفك ضباب الحيرة وتطوي عليك شبك الخطيئة تذكر أنذاك أنه معك.. يقاسمك الألمك ويذرف الدمع من عينيك. إنه يعلم خبايا نفسك... لذلك لا يمكنك أن تخفي عنه خاطرة من أفكارك أو شاردة من شوارد ذهنك. فهو نزيل روحك ويعرفك أكثر مما تعرف نفسك.

أجل أيها المرید، تذكر أنني أسكن روحك، أينما كنت وحيثما حللت. هيا افتح لي قلبك، وصارحني بخوالج ضميرك. تعال اسكن في قلبي واجعله قلبك لأنني صديقك ومحبك وولي أمرك ومقبل عثرتك وموضع سرك وملأذك الأمين المأمون. وستتحسن الأمور وتنجلي غيوم الديجور وتشع أنوار السماء في قلبك ومن عينيك.

في الظل وفي السكون أنا كائن، ولكن مسكني المحبب هو قلبك!

سوف تشعرُ بارتياحٍ في الضميرِ  
وستبقى آمناً من كل ريبٍ  
وإذا واجهك أمرٌ خطيرٌ  
فتذكرُ أنني منك قريبٌ.

كلما ناديتني أسمعكُ  
وأجيبُ همساتٍ عاجلةً  
فتيقنُ أنني دوماً معكُ  
إن على الأرضِ وإما في العُلَى

قد ضمّنتُ روحك منذُ الصغرُ

وحفظتُ عهدكَ طولَ الأبدِ  
سوفَ تحيا دونَ همٍّ أو كدرٍ  
في حمى الرحمن مولانا الأحد

والآن اذهب إلى العالم وانشر التعاليم المباركة على مدى امتداد الروح - لأنها بالحق نبض الروح.  
بركات الله معك على الدوام، مع محبتي اللامتناهية!

أجل، فمحبتي لك أعظم من محبة الأم لوليدها.. أعظم من محبة اليمامة لفرخها.. تلك هي محبتي لك .  
فإن عبست الأيام في وجهك وبدت الحياة عبئاً ثقيلاً تذكر أنني خادمك الأمين ومحب روحك.

عندما سمع المرید هذه الكلمات علم أن المعلم المرشد هو الذي نطقها، وقد غسله بقوة الله ونعمته  
من خطاياہ وظهره من أوزاره، فقال بشوق ومحبة ما عليهما من مزيد :

يا لها من نشوة عظمى يشعر بها قلبي في القرب منك يا مجيري الأعظم! إنني واحد معك بعون  
وبركة الله. ألا ما أعذب إلهامك، وما أكبر غيرتك على تلميذك!

ومن شدة فرحه ردّد قول القديسين بصوت عالٍ وقد خنقته عبرات الفرح :

في بحار الله غوصوا  
واشربوا ماء الحياة

واعرفوا أن القديرَ  
يرى في التأملات!

وأضاف منشداً:

يا مانح الفرح النقي  
من بحر حبك أستقي  
وتظلّ دوماً حارسي  
بالرغم من طبعي الشقي!

مرة ثانية يتحدث الصوت السماوي قائلًا:

يا بني، سوف تضطرك الأيام وتجاريها كي تدرك أن في هذا العالم صعوبات يجب مواجهتها والتعامل  
معها بشجاعة وإيجابية. تلك الصعوبات قد تبدو مريعة.. عسير التغلب عليها.. صعبٌ تذليلها. ولكن لا  
تدعها ترهيبك أو توهن عزيمتك. واعلم أن العالم وهمومه إلى زوال. فلا تربط خيوط قلبك بحطام  
الدنيا كي لا تطغى عليك الهموم أو تقلقك المخاوف. ومتى أنجزت عملاً ما فليكن تقدمة خالصة نقية  
منك للرب القدير كي يبارك ثمر يديك وأفكارك ويزيدك من فضله فضلاً ومن علمه علماً.

يا بني، أنجز أعمالك بهمة صادقة لكن لا تتعلق بنتائج تلك الأعمال. ابذل أفضل ما لديك من مجهود  
أكد والله سبحانه وتعالى سيعوض عليك أتعابك ويحسبها لك في اللوح المحفوظ.

اعمل بكل همة ونشاط وواصل المسيرة على دروب الخير حتى نهاية المطاف وبلوغ هدف الأهداف.  
ولا تنس أن غاية الحياة هي التعرف على الله فأصرف وقتك على هذه الأرض بالأعمال الطيبة  
والنوايا الخيرة وتمسك بأهداب الفضيلة وكفى بها دليلاً إلى الأعتاب السماوية.

وتذكر أنك تستطيع التحكم بأعمالك وتصرفاتك ولكن ليس بأعمال وتصرفات الغير. فكل ماضيه  
وحاضره ومستقبله، وكلّ مسؤول عن أعماله ونتائجها أمام القاضي العادل الذي يحفظ حقوق الناس  
ويعطي كل ذي حق حقه بحسب الحاجات والاستحقاقات.

يا بني، لا تدنِ الآخرين ولا تتحامل عليهم أو توجه لهم النقد المرير. فالكل عيال الله وأعزاء عليه. والكل يسير على الدرب مهما كانت خطواته قوية أو ضعيفة، ثقيلة أو خفيفة.

أحبب الناس إكراماً لرب الناس وستشعر بأنك تقترب أكثر فأكثر من القلب الإلهي المحب الحنون الذي يفرح بالوفاة بين بنيه ويبتهج بمحبة بعضهم بعضاً.

لا تقلق ولا ترتبك ولا تجعل مصائب ومصاعب العيش تضعف عزمك أو تفت في عضدك.

تفاعل بالخير وستراه مقبلاً عليك كأموج البحر، وتعشم الفيوض الربانية وستراها مسارة نحوك، منسكبة عليك كزخات المطر الإستوائي.

وهنا يهتف المرید قائلاً:

لقد أشعلت الأنوار في داخلي وأطلقت ألحان الأبدية في سماء روعي.  
وقلبي الذي عمدته بمياه كينونتك يؤكد لي بأنني واحد معك ولن نفترق أبداً.  
وكل خلية من خلايا جسمي وذرة من ذرات كياني تترنم بأنشودة الخلود.. أنشودة الحب الإلهي..

قبل سماع صوتك والإحساس بحضورك كنت أشعر بالوحدة والقيود، أما الآن فقد تحولت وحدتي أنساً والقيود تكاد أن تصبح في خبر كان بفضل كرمك الذي لا حد له..

أنتطلع حولي فأرى الأشياء وكأنها تتسارع نحو الأبدية فيخفق قلبي فرحاً وتهفو نفسي لمواكبة مسيرتها المباركة والإطلاق معها نحو غايتها السعيدة..

وأحس أن المحيطات الجبارة بكل ما فيها من أمواج هادرة ومد وجزر تدمدم تسيبها الأيدي لله.  
والسحاب الأحمر يتهدأ على وقع وإيقاع المعزوفة الكونية التي تطرب لها النفس وتهتز لها المشاعر.

وحتى تلك الحالة الموهومة المدعوة موتاً أبصر فيها ومن خلالها أنباض الحياة وأضواء التجدد؟

إن قلبي ليرقص ابتهاجاً بهذه المدركات الجديدة التي هي موسيقى لروحي وسلام قلبي وشوق لأحاسيسي المتعطشة للحضور الكوني المغبوط.

أحس بقرب الرفيق الأعلى الذي هو ربي ورفيق دربي وأسمع أنغام الأبدية متجاوبة في أعماق أعماقي، مترجمة شوق المخلوقات إلى خالقها.. إلى الوعي الكوني الذي لا انعدام له ولا ديمومة إلا به.

ويسترسل الصوت هامساً:

لا تكن كثير التعلق بالأشياء والممتلكات التي ستنتركها عاجلاً أم آجلاً. اقنع بما قسمه الله لك وافرح بما وهبك إياه وساعد الناس على قدر استطاعتك لأنك إن فعلت تكون قد سمحت لليد الإلهية الكريمة كي تعمل من خلالك وأجرك على الله.

يا بني، عندما يصبح إيمانك بالله راسخاً تكون قد شيدت صرح حياتك على صخر الدهور. ومهما تقلبت الأحوال وعصفت رياح المحن وتلاطمت أمواج البلايا من حولك ستبقى ثابتاً مطمئناً وابتساماً الظفر تتلامح على محياك النبيل.

لا تسمح للعواطف الجامحة بالتسلط عليك ولا للأفكار والخواطر غير النظيفة بأن تجعل من عقلك مرتعاً لها وساحة لعربدتها. أما إن راودتك الأفكار الوضيعة فلا تلق لها بالاً ولا تحتف بقدمها غير المرحب به وستعود من حيث أتت غير مأسوف عليها.

لا تتوقع شيئاً من الآخرين ولا تحسدهم على ما عندهم. لا تسمح لهموم الدنيا بأن تتقاذف عقلك ولا للإكتئاب بغزو مشاعرك. واعلم أن الفكر يؤثر تأثيراً بالغاً على الجسم. فاحفظ أفكارك سليمة إن أردت أن يكون جسمك سليماً، وانهمك بالأفكار والأفعال الطيبة وسيكون مردودها كريماً وعظيماً.

ترفع عن الميول المنحرفة وابتعد عن الأهواء الجامحة والزم الاعتدال في كل ما تفعل تعيش على هذه الأرض كما يريدك الله أن تحيا وستشعر عندئذ براحة الضمير وطمأنينة النفس.

مرة ثانية أهيب بك يا بني كي تتذكر أن طبيعتك الجوهرية هي المحيط اللانهائي الذي يزخر بكل ما هو جليل وجميل ورائع ونبييل.

ثم كن صادقاً مع نفسك وستكون صادقاً مع الله ومع الناس. وجه دفة حياتك مستعيناً بالله وإن هجمت عليك جحافل الهموم والمخاوف فبدها بذكر الله الذي هو نور على نور ونعمة فوق نعمة.

أنت روحٌ يا بني، فاهتم بأمر الروح وتعامل مع الحياة بهدوء وتعقل فيوافيك السلام وينبع الفرح من أعماقك.

طبيعة الإنسان المادية متقلبة الأهواء كالحرباء فاعمل على رَوحنتها واجعل ضبط النفس من الأولويات.

كن رحب الأفق واسع الصدر بشوشاً يشناق الناس إلى مجالستك والتقرب منك، ويطيب لهم سماع حديثك والاستئناس بمعشرك الطيب. ولتشرق ابتسامة الرضا على محياك لأنك وجدت الطريق إلى الأعتاب الإلهية.

ألا فليستظل الآخرون بأشجار سلامك الوارفة ويروون ظمأهم من مياه الحب الإلهي المتفجرة من ينابيع الشوق في عينيك. وما دمت مخلصاً صادقاً وفيماً أميناً سيحن إليك الآخرون إن بعدت عنهم ويشتاقون لمحضرك ومجالستك والتقرب منك لأنهم سيديرون حساً وحسناً أن سرراً روحياً يسكن روحك ويغذي طاقاتك وطاقاتهم بأكسير الحياة.

وكانحلة التي تحط على الزهرة فترتشف رحيقها ولا تؤذيها، هكذا فلتحيا يا بني بين أهلك وذويك، حياة الصدق والوداعة والتسامح والفتاعة.

وكالأرض التي تستقبل نفايات الناس وتمنحهم خضاراً زكية وثماراً شهية - هكذا لتقابلن الإساءة بالإحسان والجفاء بالدماثة والوداد.

لا تحاول وعظ الناس بالكلام، بل بالتصرف الحسن وبوجه يعلوه الرضا والابتسام. واعلم أن الأفعال تنطق بصوت أعلى وأفصح وأبلغ من صوت اللسان.

(وإذا المعلم لم تكن أقواله

طبقَ الفعالِ فقوله لن يُثمر.)

وإن أبصرت العيوب في الناس فبالله عليك أن تبصر أولاً الخشبة في عينك قبل أن ترى القذى في عين أخيك. وتذكر أن سعادة النفس تكمن في التسامح إذ (لا يستطيب العيش إلا المسامح).

المعنى الكامل للحياة الروحية هو التخلص من محبة الذات والأنانية.

أجل، عميقة هي جذور الأنانية، ومحبة الأنا ضاربة في تربة النفس كالداء العضال. والكشف عن تلك الجذور مهمة شاقة إنما حيوية لا يمكن الإستغناء عنها. إن محبة الذات تتخفى تحت مليون صورة وشكل، ولكن من بين كل أفتعتها وحجبها لا يوجد ما هو أكثر ضرراً وأشدّ خداعاً من القناع الروحي.

قد يظن البعض أنهم يعملون من أجل الروحيات، ولكن لدى التعمق في استبطان دوافعهم لا بد من العثور على بواعث أنانية تكمن خلف الأعمال في معظم الحالات.

لذلك انظر نظرة الصقر الفاحصة المدققة واعلم أنه بالقضاء على الأنانية والكبرياء تظهر الذات العليا ويشرق نورها عليك ومن حولك.

إن الموت من أجل الحياة هو غاية الحياة الروحية. بذلك أعني موت الذات والشهوات من أجل إظهار الروح وما فيها من ملكات.

وإذ يقنع العديد بالتصيد في المستنقعات الضحلة المظلمة تفوتهم رؤية الشمس المشرقة على البحار العميقة.

الخلود الحقيقي يمكن التوصل إليه عندما تذوب الأنا الصغيرة ويحل محلها الفهم والبصيرة. ألا فلتتذكر هذه الحقيقة وتول اهتماماً خاصاً بكيانك الروحي!

إن نور الله الأعلى يشرق على النفوس التي تغلبت على حب الذات والملذات. وعندما يسطع النور بكامل مجده ستختبر النشوة المقدسة.. والسلام لك ومعك يا بني!

من جديد، عندما سكن الليل واستقطبت الروح كل قوى الاستقبال لديها، تكلم الصوت المبارك قائلاً:

أين إيمانك أيها الإنسان؟ أتراك ترتعد هلعاً لأقل خطر يواجهك؟ أم يطيب لك الغوص في أوحال الهموم المادية؟ تحرر من الإحساس بالصغر والصغار! تعال! كن إنساناً بالمعنى الكبير! ثم أين عنصرك الروحي إن هو لم يظهر في حياتك اليومية؟

هيا تحرر من القيود واعلم أنك إن كافحت وجاهدت من أجل الدائم الباقي فلن يمَسَّك الموت ولن يحيق بك الفناء، لأنك سوف تفقد الإحساس بالموت وسيكون نصيبك الخلود.

الخلق القويم هو كل شيء. فاعمل على تحسين طباعك وأخلاقك في كل يوم من أيام حياتك.

عش بروحك مع الحي الذي لا يموت وستختبر نشوة الخلود!

ألا فليكن الحق راندك وهاديك ولن تسبب لك الولادة أو الموت، أو أي اختبار آخر خوفاً أو اضطراباً.

لا تتعلق بالجسد الفاني. حرر نفسك بالمعرفة اليقينية! إن المعنى الكامل للدين والأخلاق هو التغلب على الوعي الحيواني المقيد بالغرائز والخوف والنوم والطعام.

دعك من التعلق بهذه الجثة الهامدة. قدّم للجسم ما يحتاجه من حاجيات ولكن لا تنس أن الروح هو الأساس.

يا بني، التفكير بالخلود يقود إلى الخلود. كن شجاعاً. كن جسوراً. كن قوياً. كن أياً.

عندما تستيقظ نفسك ستظهر لك خفايا الحياة وأسرارها وستتصل قواك بموكب الكون ومسيرة الأجيال، وسيتعاضم سلامك إذ يبصر أزهير الوعي الكوني تتفتح في حقول حياتك ورياضها.

إن بهاء الوعي الكوني وروعته دائما الحضور في روحك.. لكنهما متواريان خلف الحجب الكثيفة والأفكار المتلاطمة العنيفة. ولا بد من الكشف عن ذلك النور القدسي الذي فيه الحرية والعزاء والمسرة.

ذلك النور المبارك هو بحر كوني من الضوء أكثر سطوعاً من مليارات الشمس والنيرات. وهو الكينونة الخالدة وفيه الحماية الكلية لمن يلتمسها بتواضع ورجاء ويرى نفسه قطرة من مياهه وشعاعاً من ضيائه وجزءاً لا يتجزأ من ذاته العظمى.

ذلك النور المبارك يشناق للمريدين الجادين اشتياقهم إليه.. ليمنحهم الحكمة التي تُظهر لهم الذات العليا وتوصلهم إلى الأعتاب المقدسة.

ذلك النور اللطيف يرافق المريدين في أحلك ساعات العمر وفي كل التجارب التي لا تكاد تتوقف، لأنه يريد لهم أن يبلغوا آفاقه ويفرحون بمعينته بعد طول فراق.

فليتأمل عليه المشتاقون في ساعات السكون عليهم يجتذبون إشعاعاته ويلمسون حقيقته الحية.

ذلك النور الأبهى الخارج عن نطاق الزمان وحدود المكان، لا شكل له ولا أبعاد ولا قدرة لأحد على وصف جماله الذي يفوق كل ما اعتاده البشر من معايير الحسن والجمال..

ألا فليبارك ساكن الأعماق مسيرة الباحثين عن الحقيقة وليوجه خطواتهم على دروب الإشراف العظمى. إذ بدون معينته والإحساس بحضوره الدائم في القلب تخور العزائم وتصبح الإرادات واهنة وعاجزة عن مواصلة السير نحو المقصد الأسمى.

ليت الإنسان المنغمس في الآمال الكاذبة يدرك أن محاولة الحصول على سعادة دائمة من عالم دائم التقلب هي محاولة سقيمة عقيمة تجعل سماءه متلبدة وأحاسيسه متلبدة ومشاعره مشدودة إلى دنيا الحواس بحبال متينة يصعب تقطيعها والإفلات منها.

عندما ينكص القلب ويرتجف أمام التجارب الحتمية، فتذكر حضور الله الواقف في داخلك أيها المريـد.. وعندما تحجب غيوم الأحزان الرؤية الباطنية فاطلب منه كي يفتح عين الروح لتدرك مجدداً وحدتك معه وتسعد بغبطة الوصال.

في سكون النفس وهدوء الفكر يردد المريـد في قلبه:

أنت الذي لا يخذلُ  
مريداً عليك اتكلُ  
أنت الطبيب الطيبُ  
والشافى من كل العُلُ  
وفيك تحقيقُ الأملُ

يا منتهى الكمال وقمة الوعي..

يا من لا حد لجودك ووجودك، ولا انتهاء لكرمك ومكارمك!  
دعني أدرك توحيدي مع ذاتك السرمدية وليبتهج قلبي بعذوبة لفيك.

أنت القلب النابض بالكينونة الخالدة  
والزاهر بالحب غير المقيد بشروط.

أقباس من الضياء الأعلى تشع من أفكاري المتناخمة  
مؤكدة لي قرب الوصول إلى البيت السماوي الذي في الانتظار..  
فأدرك أن الفضاء بأسره لا يتسع لشمولية الروح..  
التي لا يقيدتها الزمان ولا يحدها مكان.

وفي رؤيتي تلك للطبيعة الكلية أحس أنني أولد من جديد بإدراك متجدد لصلتي بالذات العليا ووحدتي معها.

اغسل يا رب حواسي وأحاسيسي بمياه حكمتك الصافية النقية  
علها تكف وترعوي عن الاندفاع المتهور للإسك بالمحظورات الضارة الضارية..  
وعلني أستعيد فردوسي المفقود وأتذوق غبطة الروح التي تطفئ ظمأ النفس لبضاعة الدنيا التي لا  
تزيد المغالين فيها إلا تعلقاً بالحطام.  
وازجز عقلي كي يلتزم الهدوء علني أستشرف واحات ذاتي العليا وأشرب من ينباع الفرح الكوني.

ويا أيتها السكنينة المباركة ، امنحيني الهدوء الذي لا يعكره معكّر  
وأهميني الاحتفاظ بكنوز الروح التي أعثر عليها في مناجم اليقين.

وأنت يا رباه، يا من يعوم الكون في روحك وتطلق العوالم من ذاتك..  
لقد صغنتي على مثالك وصممتني على صورتك..  
فذلك أنا واحد معك.. مع الكون اللامتناهي!

فلتوجه أفكارى المنسجمة حواسي  
ولتسير مدركاتي لك أفكارى  
وليسطع نور الروح على إدراكي  
ولتشرق حكمتك على روحي الآن وإلى الأبد.

يا مانح الأمان ومحقق الأمانى،  
أقدم لك كياني  
لتسكب فيه من روحك وتباركه بلمستك.

وبشوق كبير ورجاء أكبر ألتمس هدايتك في محراب حضورك الأقدس.  
فهب لي نور الحكمة وإشراقة المعرفة  
وأفض عليّ بالهامات قدرتك الكلية  
وببركات حبك الأعظم.

واسمح لي بإشعال مصابيح هدايتك في سماء حياتي..  
ولتشع أنوار حكمتك الكونية على دروبي  
فتبدد منها ظلام الجهل المتراكم المترامي.

ثم يرتفع صوت المرشد الملائكي في هذه الحالة من الوعي :

خلف الزمان... في صميم الزمان... أنا الخلود..  
سواء غلفت ذاتي برداء جسدي أم بقيت بدونه  
فإنني أنا الروح .  
في القلب توجد وحدة دائمة.  
وفي الأعماق يكمن السلام الأعظم.  
وما وراء العواصف والأعاصير، وتحت أمواج التعداد بما فيها من كفاح ومخاوف  
يسري تيار الحقيقة الخالدة.

تعال يا بني إلى الهدوء العميق، خلف الزوابع والهبجان، خلف الاختبارات المريرة والمريرة.

تعال إلى السلام المبارك، بعيداً عن نقيق وزعيق الشهوات المتصايحة المتلاطمة على السطح.

السحب تتجمع وتتلبد، لكن الشمس تبقى مشرقة ساطعة فوق أكاداس الغيوم.



في السكينة يخفق القلب بنشوة صامتة. افتح باب قلبك للحب الذي هو في كل مكان. ألا ما أعذب  
ألحان السكينة وما أذ طعم السلام!

مباركة هي السكينة اللانهائية!  
مبارك هو السلام اللانهائي!

ألا فليزبن الله نفوس المريدين برداء الترك الباطني عليهم يتخلصون من حماقات الأنا ويتبعون الدليل  
الأمين بثقة تامة لوحدتهم التي لا تنفصم ولا تنفصل عن الذات الكونية.

ولينور الله القلوب بالوعي النقي وليخلص أصحابها من وهم الولادة والموت وليظهر لهم الذات  
الخالدة.

أتمتلك أيها المرید الرغبة في التعرف على سيد الأكوان؟  
إذا لا يوجد وقت للتعلق بالجسد ومتطلباته التي لا تنتهي.  
الآن هو الوقت والفرصة الوحيدة لكسب المعرفة الروحية والتفكير بالعلي الأعلى.  
أنت ابن الحق وطبيعتك هي الحق.  
لذلك، ألق بنفسك في بحار الله المباركة.  
كن ثابت الجأش راسخ الحلم وستتغلب على هموم العيش ومنغصاته.  
تعلم وتعود الترفع عن ملاذ الحياة وآلامها! تذكر أنك أنت الروح. تذكر أنك أنت النفس المباركة.  
تعمق أكثر فأكثر وستجد أنك قوي. انزل إلى قاع طبيعتك وستجد أنك واسع الحيلة في بذل المجهود  
الروحي. وإن أخفقت في جهودك فلا بأس من ذلك ما دمت تعيد الكرة المرة تلو المرة!

اعلم أن الخوف والضعف هما منوطان بالجسد الذي هو وكر الأحلام ومستقر الآلام...  
لكنك أنت في جوهرك حرّ وعديم الخوف.  
أنت أهزوجة النصر على ألحان الإرادة والتصميم.  
أنت ابن الخلود وغايتك هي معرفة الحقيقة.. وكيانك طافح بوعود الروح.  
اختبارات اليوم الزائلة ليست سوى أشباح في السراب البعيد.  
يجب أن تؤمن بالحياة، وأن تتذكر على الدوام طبيعتك الإلهية.

في الأبدية لا تُفقد فكرة واحدة طيبة ولا حنين روحي يذهب مع الريح. لذلك تخط عنصري الزمان  
والمكان وفكر الأفكار الطيبة على الدوام، ولتحن نفسك للمطلق اللانهائي طوال ساعات العمر!

إن عالمك الذاتي يكمن في عقلك، وبمقدورك أن تظهر الأبدية حتى في هذه الحياة.  
بأفكارك تستطيع أن تصل إلى ما وراء حدود الفضاء.

يا لها من قوة! يا له من مجد! يا له من عز لا يوصف عندما يعرف الإنسان أن نفسه قد تحررت  
من نير القوى السفلية، وأن لا شيء يحدها أو يقيدّها!

الصمت عميق.. عميق، والسلام حدوده لا تقاس.. والنور قلبه فسيح ومريح، فادخل يا بني قلب  
النور حيث الراحة والسرور والوحدة التي لا تعرف الكثرة أو التعداد!

في مملكة الروح لا يوجد أنت وأنا ولك ولي، بل الكل في الواحد والواحد في الكل. ومن يعرف هذه  
الحقيقة بالحق يعرف.

الحب الحقيقي هو الحنين للحرية ولإندماج الكلي في اللانهائي.  
الحب الحقيقي هو الشوق الأعظم للسكون حيث تتلاشى الصور وتنعدم الأشكال ويبقى الفكر عديم  
التفكير، وحيث لا حياة ولا موت بالمفهوم التقليدي، بل جمال وقدسية وخلود أبدي وكيوننة سرمدية  
لا انتهاء لها.

هناك يكتسب العقل الأسمى معارف كلية.  
هناك سمو لا حد له وجوهر عديم الفناء.  
أجل كل شيء إلى زوال واضمحلال باستثناء روح الوجود اللامتناهي.  
وتذكر..

إن عملت بحماسة واجتهاداً  
سوف تبلغ في النهاية الهدف!

لا تبتهل بقلب مجزأ المشاعر  
بل تأمل على الله بتركيز كلي.  
فعندما يتحرر القلب والعقل من الثنائية والقيود  
تظهر الذات الكلية بكامل مجدها وروعيتها.

فيجيب المرید:

لکم أحاول بقدراتي العقلية المحدودة التعرف على الله وإدراك حقه وحقيقته  
مع أنني أعرف أنه وعي بحت!

ولکم أشتاق التحدث إليه والتعبير عن مشاعري نحوه بكلمات بشرية  
مع أنني أدرك أن حقيقته أكبر من أن يصفها الكلام البشري المحدود!

وكم أجتهد للإحساس بشموليته داخل ذاتي الصغيرة  
في حين أشعر في أعماقي بأنه روح الكون الذي لا نهاية له ولا حدود!

آه كم يود قلبي أن يجعله حبي الأمجد وحببي الأوحد!  
فانعم علي يا رب بقوة المحبة كي أنثر حبك الأعظم في كل النفوس والقلوب.

يا أيها الحق الكوني والحقيقة الكاملة الشاملة،  
فلأبصر مجدك وأميز حضورك في كل صور الخليقة وأشكالها.  
عندما أحاول قطف جمالك من ورد البساتين وزهر الربى  
يتنهد قلبي لأن بتلاتها لن تبقى ندية بل ستدوى ويعتريها الذبول  
إذاً فلأقدم لك نفسي المشتاقة عوضاً عن تلك الزهور والورود.

إنني دائم البحث عن ذاتك السرمدية في أحراش العقل وغاباته الكثيفة  
لأنك مصدر وجودي وحي وفهمي وبهجتي  
وأنت منبع الحياة وروح الجمال وحقيقة الوجدانية وجوهر الغبطة والنعيم.

لقد آن الأوان كي أتعرف على قوى روعي ومداركها الشاسعة.  
المصالح الذاتية والرغائب الأنانية تحاول توجيه سفينة حياتي ودفعها في كل اتجاه،  
لكن القوة الكونية الكامنة في ذاتي هي وحدها القادرة على تحقيق أمانى الروح مهما بدت مستحيلة.  
فليرتفع قلبي إلى عرش القدير  
علّ روعي تمتلئ بفرح الحب وتتعمد بقوة السلام.

يا رب، عندما أطلب منك أمراً لا أفعل ذلك استخذاءً واستجداءً  
بل ألتمس حكمتك التي وحدها لها القدرة على تقديس هيكل روعي وإنارته.  
وأسألك قوة الروح التي لا تقهر للتغلب على ما يعترض سبيلي من عوائق وعراقيل.  
وأطلب نور الرؤية لأستبين مواقع خطواتي وسط العقبات الكأداء على دروب الحياة الوعرة.

ومنى أدركت جوهر ذاتي المنبثق عن ذاتك

سأستعيد قواي وفهمي وأمني وأمانى.  
ألا فلتبارك عقلي ولتشحن خلاياه بالقوة الروحية التي لذاتك الكلية  
ولأدرك وحدتي معك وقربي الأبدي منك.

عندما أبحث عنك في مجاهل عقلي  
تهاجمني تيارات الفكر وتتقاذفني أمواجه العاتية.  
وعندما أحاول تأكيد طبيعة روعي الإلهية  
تقوم في وجهي تلال الرغبات وهضاب الأنا المتشامخة  
فأقع في إعياء القنوط في ظل الوحدة الموحشة،  
في حين يواصل قلبي الظمان نداءاته الصامتة لك.

لقد عقدت العزم كي أبحث عنك وأتعرف عليك.  
وعندما أصغي لصوت الإلهام أحس بحضورك في روعي.  
فاندفع لأهدم الحواجز وأزيح العوائق وأقطع القيود  
لكنني لا أجدها لأنها تلاشت كوني عثرت عليك في ذاتي وأدركت حضورك في أعماقي.

عندما يتعاطم الحنين الأبدي لقلبي المشتاق  
ييزغ في داخلي الإدراك التلقائي لجمال الروح وكمالها.

في رحلتي إلى ديارك المباركة أبصر الكواكب والنجوم  
والبلدان والمحيطات، والجبال والأنهار  
والنباتات والزهور، والحيوانات والطيور  
والإنسان وكل الكائنات منطلقة في قطار الأبدية إلى أقطارك السعيدة.

فيا أيها الحضور الرباني الفائق  
ارفع أفكاري دوماً إلى تلك الحالة السامية  
واظهر لي المعرفة الكاملة  
للوعي الكوني الكامل الشامل.

وإذ تهب نسائم الوجد على قلب المرید يتعاطم شوقه لمعاينة الوجه الأبهى ذي الإشراق وتذوب نفسه  
في رحاب الأبدية، فيفقد الإحساس بالأنا ولا يبقى سوى النور... نور الله الواحد الأحد، فيجتاح  
الفرح الكوني أحاسيسه وتهزج روحه مغتبطة:

إني أحبُّ المرشدا  
وقلبي فيه قد شدا  
لازمني منذُ الصغرُ  
وعمرَ وشيدا

مرة ثانية يتحدث الصوت الأمين في التأمل العميق قانلاً:

أي بني، إن ساعة الوداع الأخير قد تفرع الباب في أية لحظة لذلك أحرص أفضل ما في الحياة وعندما  
يزور إلهامٌ رفيع قلبك تمسك به وأحبيه محبة البخيل للمال خوفاً من أن يفلت منك و يغادرك مرتحلاً  
عنك بسبب اللامبالاة وعدم الاكتراث، وهيهات أن يعود إليك ثانية.

واعلم أن لكل إحساس سام و شعور نبيل صلة وثيقة بتفتحك الروحي وتقدمك على الطريق. وتأكد أن  
القليل من التطبيق لأفضل بما لا يقاس من التأويلات النظرية والشقشقات الكلامية والمماحكات التي لا  
تسمن ولا تغني من جوع.

أجل.. كثرة الكلام توهن قوى العقل والجسد معاً وكثيراً ما تبلبل الأفكار و تحجب الرؤية الصادقة.  
وما قيمة المرء إن لم يطبق ما ينادي به ويترجم أقواله إلى أفعال؟

يا بني : لا تحمل رياءً و لا دهاءً في ضميرك ولا تنعت خمolk بالقناعة والتسليم للقضاء الإلهي. و اعلم أن الجسد هو العائق الأكبر في مواصلة السير على طريق الروح. فلا تسمح له بأن يصدك أو يعيق تقدمك.

طبعاً الجسد سيتظلم من المجهود وسيتعاطف معه الفكر الذي سينصحك بالعدول عن مواصلة المشوار نحو تلك الديار..

لكن الإصغاء لصوت الجسد والعمل بإيحاءات الفكر المثبّطة سيبعدانك عن غايتك ويحجبا بصرك عن معاينة بر الأمان.

يا بني، الشجاعة مطلوبة على الطريق الروحي مثلما هي مطلوبة في معركة الحياة الدنيوية.

وكما يواظب محبو المال على كسبه وتكديسه.  
وبهمة وبسالة البطل الشجاع هكذا لتقف بالمرصاد لكل ما يعيق تقدمك ويحاول ثنيك عن الوصول إلى منابع الحياة المباركة.

لا تسمح يا بني لشيء في السيطرة عليك وقهر إرادتك التي هي من إرادة الله.  
لديك قوى روحية بحاجة لأن تكتشفها وتنميها. إنها كنوز لا تقدر بثمن فلا تغفل تحصيلها والعمل في سبيلها.

عندما تعقد العزم على التقدم نحو أهدافك السامية وتتكلم على الله لا بد أن تصل لأن الله يمد يد العون لكل الراغبين الصادقين والعاملين بجد وإخلاص من أجل تحرير نفوسهم من الأصفاد والقيود.

لا بد أن تتعرف يوماً ما على طبيعتك الجوهرية فلا توجل تلك المعرفة إلى الغد. كل يوم باستطاعتك أن تعرف شيئاً جديداً عن نفسك وتكتشف طاقات مختزنة في كيانك وتقترب خطوة من غايتك القصوى.

يا بني، إن أنت اقتحمت الظلمة ستري أن قلبها قد تحول إلى نور بفعل شجاعتك.

هيا اتخذ الخطوات الجريئة المطلوبة في الحياة الروحية كما في المادية. فمن لا يغامر لا تغمره الحياة بعطاءاتها ولا يمكن أن يأمل الفوز في سباق الأيام.

في قرارة ذاتك كن كالناسك الجوال. أنجز واجباتك على أكمل وجه و لكن لا تتعلق بالأشياء والأشخاص. واعلم أن فقدان الجسد بالموت لا يعني النهاية بالنسبة لك بل بداية جديدة لمسيرة سعيدة.

الجرأة مطلوبة على دروب الحياة.. جرأة النمر في الأدغال و لكن ببراعة الحملان ووداعة الأطفال.  
(فعليك مطرود النقا!) والله يبارك الأيادي القوية الكفيلة بتمزيق حجب الخداع و تبديد قبضة الوهم .

التأمل وحده لا يكفي بل يحتاج إلى المجهود لتحقيق الهدف المنشود.  
أهل الدنيا لا يبخلون بالتضحيات في سبيل مطامحهم المشروعة وغير المشروعة. أفلا يجدر بك إذاً أن تضحي في سبيل كنوز المعرفة وتحصيل جواهر الروح؟

ليكن أفق حياتك لا متناهيًا وليكن الكون بأسره ميدانك الفسيح الذي به تصول وتجول.  
لا تخش تجارب الحياة. اهجر الأخاديد الضيقة والطرق الملتوية وانطلق إلى حيث الأفق الرحب الذي يليق بأمانيك الكبار وطموحات روحك الوثابة.

في المعرفة الحقيقة ترى الله وجهاً لوجه و في عدم التعلق تكتسب السلام الباطني. واعلم أن أحداً في الوجود لا يمكنه أن يبذل المجهود نيابة عنك. فاتكل على نفسك بعد الله، إذ ما خاب من على الله اتكل.

قف على قدميك وكن دوماً على أهبة الإستعداد لعمل ما ينبغي عمله. وثق أن الله العلي القدير سيباركك ما دمت تعمل وتنوي الخير وتحاول وتكرر المحاولة. وسيشد عضدك ويبسط لك الرزق وستدرك أنك ذو حظ عظيم.

فكر بالله واحفظه في أعماق قلبك أيها الإنسان وليكن سبحانه غايتك السامية ومقصدك النبيل في كل ما تفعله وتنويه.

سر بثقة تامة في أدغال الحياة واعلم أن يد الله معك وعونه يواكبك ما دمت تؤمن به وتفتح له قلبك صباح مساء، وستهجع الرغبات وتكف عن العجيج والضجيج. والفكر المتقلب أيضاً سيرتد ويرتدع عن مداومة الهرولة نحو الملذات والهروب من الذات العليا.

آن لنفسك أيها المرید أن تستيقظ من غفوة السبات وتدرک شموليتها واتساعها غير المحدود وحريتها التي تصبو إليها وتحن شوقاً إليها.

اطلب العون من الله الساكن في أعالي السماوات وفي أعماق النفس وسيستجيب لك ويعطيك سؤل قلبك. فواهب الحياة والروح وزارع الرجاء في القلوب وخالق النور والجمال سيسمع دعائك وسيمدك بأسباب العون.

قد تتساءل عن طبيعة وأصل الأوهام والكيفية التي بها ترسخت واستحكمت وجودها في طبقات الوعي. ألا فاعلم أن عمالقة الجهل هي التي نثرت بذور الأوهام في حقول الفكر فغاصت إلى تربة النفس وتجزرت فيها فأنبتت الأعشاب السامة والأشواك الحادة التي تخز وتؤدي المریدين إذ تمزق سلامهم وتستنزف دماء قلوبهم.

ألا فلتمتلك الإيمان والعزيمة الماضية بحيث لا يقدر شيء على قهرك أو خضد شوكتك وكسر إرادتك.

وإذ تتمرس في عدم التعلق والترفع عن الأمور الزهيدة ستجد أن كل شيء يعمل لصالحك وفي خدمتك.

احترس يا بني من الحماس السطحي الشبيه بنار الأشواك التي تشتعل بسرعة لتنتطفئ بسرعة أكبر. تابع السير بهمة عالية ولا تسمح لشيء بأن يبعدك عن غايتك التي هي الله.

لا تتلأأ و لا تتوان بعد اليوم. فالوقت قصير والحياة عابرة كسحاب الصيف.

الأمس مضى و اليوم إلى زوال و الغد على الأبواب. فاعتمد على الله وابذل المجهود الواعي وستحصل على منية قلبك إذ سيعطيك ربك فترضى!

تعمق بالغوص إلى أعماق روحك وستجد تيارات الخير المباركة تغمرک من كل جانب. وستتحول كل الأمواج الصغيرة إلى موجة عظمت تحمل في تضاعيفها القدسية النور والفرح والنصر والجمال الإلهي الذي يعصى على الوصف.

كن مخلصاً يا بني وفيأ على المبادئ والتعاليم  
وسيفمرك الله الرحيم الكريم  
بفضله الرباني العميم!

(إن جود الله يدعو للسرور)  
زمن الخير وفي وقت الشرور  
فمتى أضحت رحي البلوى تدور

بركات الرب عددُ شاكرا)

وعليك السلام يا بني!

ثم يتحدث الصوت المبارك في سكينة القلب:

يا بني، الجسد يشن هجمات متواصلة ضد الروح، فكن حذراً متيقظاً.

ما أقدس الحياة وما أروع ثمارها المباركة!

لا تحصر ثقتك بالحواس ولا تجمد عندها، بل اذهب إلى ما هو أبعد بكثير من مجالها المحدود.

أذهب إلى حيث الذات المباركة المتحررة من الثنائيات وستجد أنك قد انتقلت من الوهم إلى الحقيقة..

من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة.. ومن الإحساس بالموت والفناء إلى وعي الخلود والبقاء.

ألا فلتبصر الحضور الإلهي في داخلك وتراه متجلياً من حولك.. هاجعاً في الصخور، حالماً في

الزهور.. مغرداً جذلاً في الطيور.. ومستنيراً في النفوس ذات الأشواق والإشراق.

وستحب عندئذ كل مظاهر الوجود كجزء لا يتجزأ من ذاتك الفردية المتصلة اتصالاً أبدياً بالذات الإلهية.

وإذ يفلح سعيك ويتيقظ ويتمدد وعيك ستدرك أن هذا الكون الفسيح لا يدعو كونه ذرة متناهية الدقة

في كيان الله الكلي، وأنت في جوهرك وعي كلي الحضور وغبطة لا تتناقض ولا انتهاء لها على مر

الدهور.

فليرفع الرحمن الحجاب عن بصرك الروحي ويريك الأنوار ذات الألوان التي لا وجود ولا نظير لها في

عالمك الأرضي المحدود.

روحك يا بني أسيرة المادة تناديك وتنخيك كي تنهض من غفوتك التي طال أمدّها وتحطم القيود التي

أبقتك مكبلاً في زناينة النسيان والخمول الروحي المهين.

إن أردت أن تنساب الحكمة اللامتناهية إلى عقلك فما عليك إلا أن تفتح أبوابه للنور وستهرب منه

أشباح الظلام وغمغيمات الأوهام التي اتخذته مرتعاً لها وحولته إلى مغارة لتحقيق أهوائها وأهدافها.

لا تظن أن الصور التي لا انتهاء لبزوغها على ستارة الوعي هي كل شيء في الوجود. فالأفكار النقية

الصادرة عن العقل السامي هي أيضاً حقائق بقدر ما هي انعكاسات لظواهر ومظاهر الوعي الكوني

الذي يفيض بقواه ونوره على عقل الإنسان وروحه وجسمه.

فليغمرك وعي الله المبارك بالحكمة والنقاء والحب والفرح، وليكشف لك الغطاء عن أسرار السماء.

أنت أيها الإنسان نقيّ جوهرك وخالد لا يمسه الفناء.

الجسد إلى زوال وقد تحين الساعة في أية لحظة. فلذلك توجه بكليتك نحو هدفك الأسمى واملأ قلبك

وفكرك بأمواج الخير وتيارات النور.

ولتكن نواياك صافية كالبلور.

عندها إن باعنتك المنية ستكون على أتم الاستعداد

لملاقاة رب العباد.

عش في هذا العالم كما لو كنت ستفارقه بعد لحظات وعندئذ ستحلو الحياة وتزداد بهجة.

عندما يعانق الموتُ الجسد ستندم حقاً إن لم تكن قد عشت طبقاً لمثلك الأعلى على هذه الأرض.

إن كلمة (يا ليت) تعني التقصير والتخاذل.

كثيرة هي النفوس النادمة التي يتحسر أصحابها قائلين: ليتني استخدمت قواي استخداماً صحيحاً  
لكنك الآن أقرب خطوة من الله.

لذلك ألق بنفسك في خضم هذه الساعة و بكل إخلاص لمثلك الأعلى قل:

"يا رب، ساعدني كي أبصرك في ذاتي واجعلني صادقاً وفاقياً لمبدأ الخير المنبثق عن كيانك الرباني."

وفي ساعات السكينة والهدوء ردد في قلبك أعظم صلاة.. صلاة المرید ذي الأشواق الذي لا يكف  
قلبه عن التسبيح والتصریح.. عن التمجيد والترديد: إلهي و حبيبي.. قلبي يميل إليك.. عيني تريد  
رؤياك.. أنت غايتي ومبتغاي في الدنيا والآخرة.

يا بني، روح الإنسان خالدة لا متناهية، وهي جزء لا يتجزأ من الخالق الأعظم الذي تحيا فيه وتتحرك  
في كيانه الإلهي. وهو كذلك موجود فيها. وإذ تدرك هذه الحقيقة ستغادرك المخاوف وتصبح صاحب  
النفس المطمئنة.

وهنا تتوجه النفس إلى الله قائلة:

إلهي يا مبدع الحياة و السلام والأشياء كلها..

جوهرك هو الحب اللامتناهي..

إنك والحق موجود في كل مكان فانعم عليّ بامتلاك ذلك الوعي المبارك!

في العوالم كلها ليس لي من أمل إلا بك..

المخاوف و أشباح الموت تخطر وتتبختر في كل مكان..

والآلام والأوهام تعدو هنا وهناك..

تلك هي رؤية الحياة الفانية..

هلا حررتني من الوهم القديم!

عندها سأبصرك حيث يتجول الموت وحيث الحياة تعج بكل ضروب الآلام..

أه، دعني أتمس وجودك من حولي حتى في الأشياء العنيفة والمخيفة.

أيها المجير القدير.. يا قاهر الموت والخداع.. استمع لندائي واستجب لدعائي!

أيها الوعي الأقدس، يا روح الوجود،

كم سرت على دروب الحياة وفتشت عنك بشوق ولهفة!

فمنذ بزوغ فجر الحنين وأنا أعد نفسي برويتك

وأقول لا بد أن ساعة الرحمن ستحلّ وتحقق بقلاني بك والتعرف عليك!

لقد أنصفتني بومضات من مجد الله وجلاله.

وأحسست بإرهاصات الحضور الأقدس في باطني ومن حولي.

لم تحرمني هدية هدايتك،

حتى عندما تلكأت في البحث عن النور،

وأصل قلبك المحب العطاء بكل أريحية وسخاء!

كثيراً ما تهبب قلبي الحياة وأوجس خيفة من مفاجاتها غير المحسوبة،

إنما كنت ولم تزل تلهم نفسي وتجبر بخاطري.

إنني أشعر بقربك مني

وكي لا يوحشني الطريق

تبعث إليّ بين الحين والحين بنفوس طيبة مُحبة

لتخفيف الأعباء وتلطيف الأجواء!

وأنت لتساعدني على الاحتفاظ بتوازني

وسط تيارات الكرب والفرح والحزن والابتهاج.

فيجيب الصوت المبارك من أعماق العقل الكلي:

يا بني، إن أنت ناجيت الله وتفكرت به ستدرك أن تلك القوة اللامتناهية تحيط بك و تغمرك بالحب الكوني. وسوف يضمك روح القدير ويلهمك المعارف القدسية.

واعلم أن الاعتماد الفعلي على الله يحل كل الإشكالات والمشكلات لأن الله هو الحل الصحيح لكل معضلات الوجود.

سلم أمرك لله أيها المرید والى أحمالك عليه وتأمل بعظائمه تحل عليك البركات ومعها المدركات.

التمس سلام الروح في سكينه التأمل مثلما تفعل النفوس الكبيرة المستنيرة الحاملة لمشاعل الحكمة المقدسة أمام القلوب الملتهبة شوقاً للوصول إلى معابد الحضرة وخلوات اليقين حيث الفرحة الفائق والجمال الرباني الصاعق.

واطلب من الله كي يرفع عن بصرك الحجاب لترى الذات الخالدة وتشرب حتى الإرتواء من ينابيع الغبطة المتفجرة في واحات الروح ذات الأنسام العليقة والأشجار الظليلة.

ومع الاقتراب من مشارف الوعي الأسمى تتأجج نيران الوجد في الأعماق ويبرز فجر الإشراق فتحس بفرحة الوصول إلى حرم الذات الكلية الذي يشد إليه الرحال ذوو الإرادات الحازمة والنوايا الجازمة.

وضع في الإعتبار أنك سائح على دروب الله نحو الغاية القصوى التي هي معرفة الذات. وإذ تطمح لتحقيق ذاتك لا تسمح بالتحقق والإرتباط مع عالم الثنائية خوفاً من الإنجراف إلى قاع اللامبالاة والتفاسد الروحي الثقيل على النفوس المجنحة التي تهوى التحليق في فضاء الروح السحيق.

عندما تبدو الحياة خداعة مراوغة، ويدنو شبح الموت ويصرخ القلب ألماً وتبلغ المصائب البشرية الذروة.. تذكر أنك أنت الروح المتعالي على كل الثنائيات والنسبيات. عيش كل يوم كما لو كان يومك الأخير ولا تنقطع عن ذكر الله.

كرّس حياتك لله واذكر نعمه عليك. أبصر حكمة إرادته في كل ما حولك.. وعندها سواء ظننت أنك في جوف القبور أو في أفواه النمر.. في حضرة الموت أو على أعتاب الجحيم ستبقى قريباً من الله المحب الرحيم الذي لن يتركك وحيداً ولن يكون عنك بعيداً.

ما دمت تتذكر الله وتحفظه في شرك سيأتي إليك وينحدر عليك الفرحة الأعظم و سيحيا السلام في نفسك.. وما يبدو للآخرين مخيفاً مرعباً ستراه جميلاً محبباً ما دام الله معك وما دمت معه.

يا بني عيش طبق المثل العليا و كن شجاعاً مقداماً باسم الإله القدير.

هناك حب لا يخشى شيئاً.. حب أعظم من الحياة و موجود في كل مكان. ذلك الحب الكوني هو الله المحب الودود.. منبع الخيرات والجدود!

ثم يواصل الصوت الإلهي المبارك قائلاً:

الله هو الصمت في صوت الحياة..  
وهو السلام ومعنى الوجود..  
هو العليم بكل ما كان وما هو كانن وسيكون..  
لا شكل له لكنه حاضر في كل مكان..  
هو القوة القاهرة.. هو الأزل.. هو الوحدة وروح التوحيد..  
ومن يتعرف عليه يحقق غاية الحياة.



هيا يا بني تيقظ.. مزق الحجب وحطم القيود..  
لا تسمح لمستنقعات التوافه بابتلاع أشواقك..  
تخلص من كل الأحلام .. بدد قبضة الوهم..  
إنك أنت الروح ولا شيء يحول دون إدراكك لجوهر طبيعتك..

انهض.. لا تتوقف قبل بلوغ الغاية التي هي روح الحياة وحياة الروح..  
التي هي الحب والغبطة الأبدية..  
والمعرفة الكلية.

ولتحرسك العناية الإلهية ويضمك قلب الله الدافئ الأمين أينما توجهت وكيفما كنت وحيثما حللت.

ثم من جديد يسمع المرید الصوت المبارك هامساً لوعيه:

أي بُني، أعلك تظن أنني لا أعرف نقاط ضعفك! أم تراني غافلاً عن المخاوف التي تنتابك والهموم  
التي تهبّ على قلبك بين الفينة والأخرى!

أليست الحياة محفوفة بالمخاطر وفيها الكثير من المحن والشدائد؟ لكن ينبغي أن تكون أكبر منها  
وأقوى.. فلا تدع الوهن يتسرب إلى نفسك فيضعف عزمك ويشل عزيمة. واعلم أن الروح الأعظم  
يحيها في أعماقك ويغذي عقلك وأفكارك بأنبل المشاعر وأكرمها.

وتذكر أن بمقدورك أن تصبح ما تنتويه ما دمت تواصل السير على الدرب وتعمل في سبيل الوصول  
إلى منية قلبك. الجسد طبعاً سيتمرّد، والفكر كذلك سيقاوم بعناد. ولكن ما دامت إرادتك قوية ورغبتك  
صادقة فإنك واصل بعونه تعالى إلى أعتاب المقامات العليا التي في انتظار المشتاقين.

وهنا يتعاضم شوق المرید فيردد بوجدٍ ما عليه من مزيد:

(إلى غاية الغايات قصدي وبغيتي  
إلى ربيّ العالي على كل حاكمٍ  
إلى المرتجى الغالي حبيبي ومنيتي  
فليس فتى التوحيد فيه بنادمٍ  
هو الربُّ هادينا الذي جلّ اسمه  
وليس له شبهة، فريدُ المعالمِ  
حكيمٌ عليمٌ قادرٌ سيّدُ الورى  
عظيمٌ وموجودٌ بكلِّ العوالمِ  
يلبّي ندا الملهوف حياً ورحمةً  
ومنه فيوضُ الخير رب المكارمِ)

ويواصل الصوت الأمين:

في روحك نهر جبار أرحب من المجرات، لا يمكن لقوة في الوجود أن تقف في وجهه أو تحرفه عن  
وجهته. فإن كنت مخلصاً مع ذاتك، وإن كان الصدق يحيا في قلبك فاستبشر خيراً لأنك ستبلغ المراد  
وتدعى إلى الوليمة الإلهية.

لا شيء له القدرة على امتلاكك والسيطرة عليك إلا إذا أنت سمحت بذلك. افتح قلبك أيها المرید ووسع  
مداركك. أكرر كن صادقاً مع نفسك وستكون كذلك مع ربك ومع كل الناس. كن دقيق الفحص لأفكارك  
كما لو كانت أفكار شخص آخر. ولتكن نواياك نظيفة نحو الغير لأن تلك النوايا ستعود إليك وترتد  
عليك إن خيراً فخير وإن شراً فشر. فكل ما يصدر عنك يعود إليك مضاعفاً وهنا فصل الخطاب حيث  
يكن الثواب والعقاب! فراقب أفكارك وصحح مسارك وستحيا بعونه تعالى بأمن وأمان وراحة  
واطمنان وتتذوق ثمار المعارف الخاصة.

واعلم أن معظم الشوائب والعيوب مصدرها وعي الجسد، فحاول الترفع عن ذلك الوعي المحدود لعكس تستشرف آفاقاً أعلى وتختبر أحاسيس أنقى وأبقى. لا تسمح للجسم بإملاء إرادته عليك لأنك إن فعلت فقد تجد نفسك في نهاية المطاف في وضع لا تريده لنفسك ولا تحسد عليه. فالنفس المرتبطة في الوعي الجسدي دائمة التعطش والتحرق إلى أمور قد لا تخلو من أضرار، فينبغي أخذ الحيطة والحذر والتميز وحسن الاختيار. وليكن الجسد خادماً لأمني الروح ووسيلة لتحقيق ذاتها إبان زيارتها الموقوتة إلى دنيا الفناء.

وهناك سر روحي يا بني أود أن أطلعك عليه لعكس تجد فيه نفعاً وعاوناً على الطريق: ألا فاعلم أن الأخلاق الفاضلة هي الأثقل في الميزان والأهم في نظر الديان، وهي الدعامة التي لا تقوم الحياة الروحية إلا عليها وبها. فالخلق القويم يعني الإرادة القوية والفوز في معركة الحياة، وفي هذا فليعمل العاملون وليجتهد المجتهدون.

إن نظرت نظرة فاحصة إلى حضارات العالم التي معظمها بدا ثم باداً لوجدت أن الإنسان كان ولم يزل يمجّد الحواس ويعتبرها المرجع الأساس لكل تجربة من تجارب حياته. ونتيجة لذلك فهو ينخدع بأوهامها ولا يرى شيئاً أبعد منها وأكثر مصداقية.

وهذا التعلق الكبير بالحواس وأغراضها هو أصل الكثير من البلايا والشُرور في دنيا البشر. فلو قدر للإنسان أن يختبر بالتأمل العميق بُعداً آخر ويدرك طاقاتٍ من غير هذا العالم فلربما أصبحت رؤيته للأشياء أكثر وضوحاً واتزاناً. ولكن مهما حاول الإبتعاد عن مصدر وجوده والإتغماس في كل ما هو متقلب ومتلون، لا بد أن يسأم هذه المسرحية الأرضية التي ما فتئت تتكرر عوداً على بدء منذ خلق الله الدنيا ولكن بأدوار وظروف مختلفة.

حريّ بك أيها المرید أن ترتقي بالفكر إلى ما فوق مغريات العالم الرخيصة التي لا تليق بعشاق النور. فدع دنيا الدنيا وازهد بالزهيد إن أنت رغبت في الوصول إلى بساتين الحق والنتعم بالثمر المبارك. وتذكر أن من يزهد في الدنيا يحبه الله ومن يزهد فيما عند الناس يحبه الناس.

آن لك يا بني أن تمزق الأقنعة التي تحجب إشعاعات شمس الحقيقة وتبصر بعين البصيرة طبيعتك الحقّة التي هي من جوهر الذات العلية. وتذكر أن الوعي الروحي هو محور وجود الإنسان ونقطة ارتكازه ومعيار تطوره مهما قال بخلاف ذلك المكابرون. والدنيا وما فيها لا تقاس بروعة الإدراك اليقيني لذلك القبس الرباني الذي هو الحد الفاصل بين التخمين واليقين والجهل والمعرفة.

الناس يؤمنون بالمنظور والمحسوس وقلما يهتمون بما هو أبعد من المرني والملموس. ولذلك تبقى تجربتهم محدودة ومداركهم مؤزودة. اللامنظور هو الأهم والأكثر بقاءً في الوجود لأن كل شيء عنه ينبثق وإليه يعود.

يا بني، لا تتحرق للممتلكات ولا تتعشق الثراء، بل لتكن لديك الرغبة القوية في امتلاك الدوافع النقية التي هي سمة أهل الأئس والاتحاد. واعلم أن الجري المحموم وراء متاع الدنيا المسموم لا يليق بالجادين في البحث عن أحدية الذات، الراغبين في تذوق أحوال القلب. فاعسل قلبك أيها المرید من الجشع والطمع وانظر للحياة نظرة فاحصة مدققة لتتبين موقع أقدامك إن كنت حقاً تطمح إلى مراتب المشاهدة التي هي من نصيب أهل اليقين الحاصلين على الإقامة الدائمة مع الله وأنبيائه وأوليائه الصالحين.

وعندما تزور خاطرك الإلهامات العلية تمسك بها كما لو كانت طوف الأمان في بحر الشدائد والمحن. ولا تنس أن الفرصة الروحية تحدث مرة واحدة في الحياة ونادراً ما تتكرر! فلا تدعها تفوتك بل اغتنمها وتابع السير على طريق المریدين المخلصين المتعطشين إلى رحيق الكشف المختوم في ولائم الرحمن.

وتذكر كل حين أنك قيس من الروح الأمين الذي هو الجوهر الأول الدائم البقاء على مدى الأجيال والأزال. وأصخ السمع للنداءات العلية التي يهمس بها أهل الخصوص أركان التوحيد الواصلين والحاصلين على المراتب السنية في قلب الأفق الأعلى.

هذا أوصيك به يا بني، لأنك إن لم تنتبه لهمسات الإلهام فقد يخف الصوت ويخفت ولن تتمكن عندئذ من سماعه.

القوة القاهرة بجانبك دوماً تعليك وتعليك وتسدك وتهديك ما دمت على توافق أكيد مع الله وقوانينه الروحية التي لا يمكن خرقها أو التلاعب معها لأنه سبحانه يسكن الأفكار ويعرف النوايا على حقيقتها.

التحرر يلزمه الإخلاص. فإن رغبت في التقدم على الطريق ومعاينة أنوار المعاني والإلهام فلا بد من أن تكون أميناً في العمل والدعاء، مخلصاً لميراثك الروحي - لأن الأمانة في الفكر والفعل تقود إلى الحرية التي يتنعم بها أهل الرضا وأصحاب المقامات والمراتب.

فلتكن خطواتك دوماً نحو الأمام. وما دام القلب منك نظيفاً والدوافع نقية ستكتسب القوة التي تحتاج إليها لمساعدة نفسك والآخرين. عندئذ سترن نبرة الحقيقة في كلماتك وستشحن أقوالك بنعمة الرحمن ونعمة العرفان.

واعلم يا بني أن كل إنسان تنبعث عنه اهتزازات دقيقة رقيقة يشعر بها الآخرون ويتفاعلون معها. وأخلاق المرء مرتسمة بوضوح على محياه، بحيث لا يستطيع التمويه أمام من يحسنون قراءة الأخلاق في عيني الشخص وصفحة وجهه.

إن أنت تكلمت بالروحيات وكان سلوكك مغايراً لما تنادي به فتأكد أن الناس عاجلاً أم آجلاً سيدركون ماهيتك ويكتشفون حقيقتك. ولن تتمكن من مساعدة الغير ما لم تكن حياتك مؤسسة فعلاً لا وهماً على دعائم الصدق وأركان التوحيد.

صلّ في قلبك لذي الألفاظ الكامن ما وراء كل المسميات والأوصاف! فهو قريب من الجميع وروحه موجود في كل الصور والأشكال.. في كل ما هو أصيل وجميل لأنه روح الجمال وسر الأصالة والإبداع.. وهو الجلال الأسمى والجمال الأبهى! فاطلب منه كي يطلعك على أسرار الوجود.

الحياة الأرضية تمر مرور السحاب في سماء الأثير.. ومهما توجّع الإنسان وتفجّع لن توقف مسيرتها الدائمة الدائبة، ولن تغلح لجاجته في تسريع إيقاعها الوئيد! إنها هادئة على الدوام بحكمتها السرمدية ومسيرتها الأبدية نحو غايتها البعيدة السعيدة.

فيجيب المرید:

أجل.. إن مشاهد الماضي تظهر لذاكرتي كأموج البحر النائية.. المتلاطمة أبداً على ساحل عقلي.. وأرى المباهج الحسية تصد قلبي المشتاق عن بلوغ الأفق.

فحررني يا سيد الأكوان من كل ما يقيد طموحي ويحد من أمني روحي.. علني أدرك شموليتي وأرتقي بوعبي إلى مشارف ذاتك الرحبة.. وهب لي تجربة معرفية لجوهرك الفرد الذي هو في الكون الكل في الكل.

ألا فلتستيقظ روحي ولأدرك الغايات والأهداف لهذا الوجود الأرضي الشديد التقيد والتعقيد.. ولأنجز واجباتي بما يتمشى مع نور الوجدان وهدى الضمير، مدركاً أن الخدمة الإيثارية دين مستحق على الإنسان نحو كل من ساهم في جعل هذه الأرض بيتاً مريحاً له. ألا ليت إله السلام يبارك كل الواجبات ويتوج بالقناعة والرضى كل الإنجازات!

فيهمس المرشد:

يا بني! في ساعات الوحدة والسكون لتتذكر ولتتفكر بأنك ستفارق يوماً ما كل الذين عملت وتعاملت معهم وتعبت لأجلهم. ولن تقدر بعدها على خدمتهم أو تقبل تقدمات قلوبهم المغموسة بسائل حبيهم الرقيق.. إذ ستهاجر روحك إلى ربها وتنطلق في مسيرتها نحو لا نهائية الوعي حيث السلام الشامل والعلم الكامل واليقظة الأبدية في الأقطار البهيجة التي تزخر بفيوض النور والأفراح المتجددة.

ابتهل أيها المرید لمسير شؤون الخلق والخلیقة كي يباركك ويوقيك ضربات الجهل الساحقة الماحقة. واعلم أن أشباح الثأر وسموم البغضاء والرغبة في رد الصاع صاعين تطمس في الإنسان مدارك الوعي وتسد منافذه فتحجب عنه المثال الأسمى. والكراهية تعكر مياه المحبة المناسبة من ينابيع القلب فيستعدي المرء ويعادي ويدمر بيديه كل ما هو نبيل وجميل في روحه. فها فهو الإنسان يضرب نفسه ضربات مؤلمة ومع ذلك يعتبر الغير أعداءه!

في تلك الساعات الحالكة والأجواء المكفهرة.. ساعات الجهل الذي يدمي ويعمي، وأجواء الخداع التي تطمس أنوار البصيرة، اطلب من الله الهداية وإدراك الألوهية الكامنة في نفسك واسأله تجنبك الأخطار والأخطاء ومساعدتك على معاينة روحه المبارك في الذين من حولك فتسعى مخلصاً لتطيب نفوسهم وجبر خواطرهم على حبه.

فلا تسمح لصخب الحقد وغبار الكراهية بخنق صوت الحب والسلام في نفسك. ولتملك الشجاعة الروحية للابتعاد عن دروب الطمع والأنانية المستترة خلف ألف حجاب وجلباب.

في العالم ما يكفي من الظلام فأحمل مشعل الخير والحب الأخوي في ضميرك واطلب من الله كي يأخذ بيدك ويوجه خطاك عليك تبصر نور حكمته ووحدانيته وحبه وسلامه الذي لا انتهاء له.

لقد سمعت يا بني أن الله لا متناه ولا حد لحكمته وحبه ورحمته، وأن مظاهره أيضاً لا متناهية. الحكمة الكونية وحدها هي القادرة على معرفته ولا يمكن بلوغ تلك الحكمة إلا بمقاربة جوهرها النوراني.

والله الذي تعجز العوالم عن احتوائه يمنح للمحبين قدرة على ملامسة حضوره ومعاينة أقباس نوره، لأنه كيان الحب والحب الكوني.

لا نهاية له ومع ذلك فهو حاضر في كونه وكنائنه المنبثقة عن جوهره.

إنه البريق الأخاذ في سطوع الشمس الوهاج.. والجبروت الذي في مياه المحيط ومدته وجزره الأبديين.. والسمو في الجبال الشامخة التي ترفع رؤوسها نحوه لأنه مصدر عظمتها ووجودها.. والأريج في الزهور الناضرة والورود الندية التي تستقطر عطرها وتستقي عذوبتها من طيوب الأزل..

ثم أراك تتساءل عن السبب من رغبة أهل الشوق في التقرب من الله. والجواب هو لأن خواصه الجوهرية تكمن فيهم. ويحاولون معرفته لأن حكمته تحيا بهم. ويجتهدون للتوصل إليه لأن قوته مستقرة في أعماق ذواتهم. لكن لا سبيل لمعرفة أو العثور عليه حتى تصفو النوايا وتتلقى الأعمال وتتطهر المحبة بنار الحكمة وتغتسل بسيال الحضور المبارك.

إنه ينبوع الحكمة الكلية ومركز الحقائق السرمدية.. وكون الفهم القاصر عاجزاً عن استيعاب حكمته الكونية فلا بد من التيقظ من سبات الغفلة وإدراك الإنسان لكيانه الخالد في حضوره الأبدي..

ولا بد أن يتوحد الحب المحدود للإنسان مع حب خالقه اللانهائي حتى يشعر بقربه ويتذوق رحيق حبه.

إن الروح الكوني المطلق هو الجوهر الكلي والوحدة الفائقة.. وهو من يغلف الوجود بإشعاعاته السرمدية..

ويظهر كماله لمريديه  
علمهم يحنون إليه ويلتهبون شوقاً للتعرف عليه!

إن حكمته اللامتناهية تستحث وتلهم الإنسان عله يدرك وحدته ووحدايته الدائمة معه.  
وروحه الخالد يمنح الحياة لكل ما في الوجود..  
ومع ذلك يبقى بعيداً فائقاً في وعيه المطلق ما وراء تيارات الفكر وأمواج الأثير الحي.  
المحبة التي تغذي قلوب البشر وتنعش نفوسهم تحن لاحتواء الله ومخلوقاته، وتلك هي طبيعة الحب الإلهي.

ألا ليت الروح الإلهي ييقظ وعيك علك تدرك حكمته وتتذوق غبطته السرمدية.  
وليت وعيه الكوني يحول فكرك من العالم المادي ذي المدركات الحسية إلى الكون المعنوي ذي  
المباهج الروحية الفارقة.  
وليأخذ الله بيدك ويخرجك من ظلمة الجهل إلى نور الحكمة.  
وليحركك من الوهم الذاتي والتوجس من المجهول.  
وليطالعك على طبيعتك الجوهرية الخالدة.  
ولتتأمل عليه في هجعات الليل ويقظات الفجر  
حتى تحس بنبض حضوره وتعاین أقباس نوره!

فارفع بصرك وحوّله من المظاهر الخارجية لعالمك النسبي إلى رؤية الحقيقة الكونية الباطنية.  
وليغمرك الله ببحر كماله علك تدرك حضوره في أعماقك.  
وليمتلئ قلبك ببهجة حبه التي تحرر النفوس وتغمرها بوعي الوجدانية والشمول.

ومن يرغب في توجيه أفكار وقلوب الناس نحو الأفق العليا ينبغي أن يكون نقي الوجدان، صادق  
القلب واللسان مع نفسه ومع كل إنسان.

ولا تتعجل في نثر درك الروحية ذات اليمين وذات الشمال، بل احتفظ بكنوزك لمن يطلبها بصدق  
وإخلاص ورغبة أكيدة في معاينة أنوار الإشراف وفيوض معاني الغيب.

اطلب طمأنينة القلب وسكينة الروح. ومتى شعرت بحالات الكشف تتوارد على قلبك فاشكر الله على  
نعمه واعتبرها كنز الكنوز وهدية الله وأنبئانه إلى أهل الشوق.

لا تخش الألم فهو نسبي ولا بد أن يزول، فوجوده مقترن بالحواس. وكلما ترفعت بالفكر عن الجسد  
وشؤونه سيخف شعورك بالألم ما دمت تعتبر الفكر أقوى من الجسد وتحاول تطبيق هذه الحقيقة التي  
لا يختلف عليها عارفان.

لا تنظر للحياة نظرة مادية بحتة. بل درسها دراسة نفسية متعمقة واعرفها معرفة روحية راسخة.  
وعندها ستدرك مغزى الحياة الروحية، وستعلم السبب من تحبيذ الأنبياء أصحاب الجاه والقديسين  
أهل المحبة للطهارة والنقاء.

ألا فلتترسخ هذه الأفكار في أعماق قلبك ولتغمر نشوتها المباركة كيانك فتتجدد شخصيتك وتتلقى  
ميولك. ولتعضدك يا بني الإرادة الكونية ولتكن إقامتك مع الله وأحبابه ومحبيه في رياض الخلد  
وفراديس الجنان.

في قلب السلام والسكينة الروحية يرى المرید الطيف اللطيف ويسمعه يهمس قانلاً:

لا تجزع من صروف الدهر وتقلبات الأيام. ومهما بدت الأمور مرعبة مريعة فتذكر أنها تمس أكثر ما  
تمس الكيان المادي ولا تأثير لها على النفس الروحية.

كن ثابتاً راسخاً في مبادئك وعلى دراية تامة بأن النفس لا تفنى ولا تمحى من سجل الحياة.

فقف على أرض الروح ووطد معرفتك بجوهر الحقيقة وعندها لن تنزعزع أركانك ولن تميد الأرض تحت قدميك لأن خطواتك ستكون ثابتة على صخر الدهور وبصرك مشدوداً إلى بوارق اليقين.

إعلم أن الذات العظمى قواها مطلقة، وبالتوصل إليها ستدرك أنك شعاع من الشمس الكونية ذات اللمب الأبدى والوعي النقي الذي لا يقرب الظلام مجاله ولا تقدر قوى الخداع على اقتحام معاقله.

ابتهل لله أيها المرید كي وجود عليك بالصفاء ومعرفة الذات التي هي زاد الخلود. وكما أن عود الثقاب قادر على إشعال غابة بأسرها، هكذا الحال أيضاً في الروحيات. فشرارة واحدة من النار الكونية كقيلة باحراق أعراش الوهم وتبيد ظلمة الدهور من كهوف النفس التي استوطنها الظلام وأشباح الأوهام.

ومع التفكير الدائم بالحقائق العليا سينساب تيار الحياة المبارك داخل كيانك فيمتزج بدمك ويملاً خلايا جسمك وأحاسيسك وحواسك بالقوة الحيوية والنقاء النابض.

الحق يا بني لا يخضع للقياس، تماماً كالمحيط الأعظم الذي منبعه الروح ومياهه المعرفة السرمدية. أما بالنسبة للألم والشقاء فهما مقترنان بالرغبة والإشتهاء. فذلك تحاشّ التعلق الأعمى ولا تقيد ذاتك بشيء، بل ليكن طموحك روحياً أكثر منه مادياً، فأتيت عارياً إلى هذه الدنيا وهكذا ستغادرها. اعمل على تحصيل الكنوز الباقية وستزداد بصيرتك تفتحاً ونمواً. ومع بزوغ طبيعتك الروحية ستحصل على كل ما تحتاجه في هذه الحياة لأن الله أكرم من أن يتخلى عنك أو يمنع فيضه القدسي من الوصول إليك دون انقطاع.

فمن هذه اللحظة ليكن نموك باطناً لا ظاهراً. لا تتبالغ في الاحتفاء بالحياة الدنيوية كما يفعل معظم الناس. اجعل من جسديك معبداً لروحك إلى أن تظهر الروح بكامل مجدها وروعها. عندئذ ستبديد الظلمة التي هي الجهل وسيسطع النور في محراب قلبك وتتجلى أسرار الغيب في أفق عقلك.

إن قوى الكون قاطبة وأرواح الأنبياء الطاهرة تعمل مع الصادقين الصديقين وتمدهم بكل ما يحتاجون إليه على دروب الخير والحق.

ومرة أخرى يتحدث الصوت في خلوة الروح قائلاً للمرید:

السلام معك يا بني. ما من شيء يستوجب الخوف لأن روح المحبة تسري في كل الأنبياء. وتلك المحبة لا اسم لها سوى الله. الله ليس بعيداً عنك فهو متربع على عرش قلبك. فإن سلمت أمرك إليه ووضعت كامل ثقتك برحمته الشاملة ستوارد عليك الخيرات وتترادف وستفتح بصيرة الروح فتبصر بكل جلاء.

واعلم أن المحبة هي أقوى من الموت وأعظم من الحياة، وهي أقرب السبل وأسرع الطرق إلى باب الله. كن صبوراً وسيجود الرحمن عليك بالقدرة على مواجهة ومجابهة مصاعب العيش وظروف الحياة على اختلافها. كن متواضعاً فالتواضع محبب لله، إنما ليكن تواضعك بمقدار إن الإفراط فيه يجلب المذلة وهذا ما لا تريده لنفسك ولا يريده الله لك.

سلم ذاتك لله أيها الإنسان وثق بحكمته. واعلم أن حبه أبدي يفوق ملايين المرات محبة الأم لطفلها الوحيد. وهو رحيم ولا حد لكرمه. فلا تقنط من رحمته واحسن الظن به وستعيش عيشة رضية طيلة أيام حياتك.

تعامل مع الحياة ببسالة وجرأة. فليأت ما يأتي. ولكن كن قوياً بالروح وتذكر أن قوى لا متناهية تعضدك لأن الله معك، ومن كان الله معه لا خوف عليه في الدنيا والآخرة.

وبركات الله لك ومعك على الدوام.

ويستطرد الصوت قائلاً:

مريضة هي أصفاد العالم وفظيعة أغلاله! وما أعسر الإفلات من شبكة الوهم وأحابيل الخداع!  
يا بني، إن كنت ترغب في بلوغ عالم الخواطر والأحوال والجلوس في الحلقات الرحمانية فعليك أن  
تسلك طريق المريدين وتمتلك الشوق إلى لقاء وجه الله الكريم.

واعلم أن السبيل إلى الغلبة يكمن في التحرر من الغرائز والأهواء التي تدفع الناس دفعاً إلى القيام  
بأمور مغايرة لطبيعتهم الروحية التي هي شعلة قدسية من النور الإلهي. فعليك بيقظة النفس وصحوة  
الضمير إن كنت تأمل في بلوغ مراتب الفائزين، وأن لا تتوقف عن ذكره تعالى إن رغبت في تذوق  
شراب الحب الإلهي وملاقة أقطاب الإتحاد.

التجارب ستهجم والرغبة العاتية ستطل برأسها، ولكن لا تخش عواصف التجارب وأعاصير الشهوات  
مهما بدت طاغية، إذ لطالما اعترضت سبيل المريدين وواجهت أولي العزم، لكنهم لم يستسلموا لها  
ولم يتخاذلوا أمامها بل استعانوا عليها بالذكر المبارك وبددوا جحافلها الزاحفة بمداومة التفكير بالله  
والإستعانة عليها بالصبر والثبات. اصبر تنل، فعاقبة الصبر الجميل جميلة!

(اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ  
وكل أمر له وقتٌ وتدبيرُ)

لا بد من كبح الأفكار العقيمة الناشزة والاستعاضة عنها بالنافعة السامية والعمل الإيثاري النبيل كي  
تتحرر قدمك من أحوال المؤثرات الدنيوية فترتفع على أجنحة الروح في آفاق الأزل.

عندما تأتي التجارب يرتجف القلب وتضعف الإرادة قبل أن يدرك الإنسان حقيقة ما يحدث فيقع في  
الفخ بعد أن يستدرجه الطعم ويعاني من الحسرة والألم. تلك الحقيقة يعرفها طلاب الوصال ولذلك  
فهم دوماً بالمرصاد. فما أن تطل طلائع الشر حتى يستجدون بقوى الخير ويعتصمون بحبل الله إلى  
أن تتبدد الوسواس وتجلي الخواطر الوضيعة عن مرآة القلب.

إن ظلام الجهل يحجب الذات الإلهية عن بصيرة الإنسان. والخوف والإحباط يصيبان الحواس والعقل  
في مقتل فيصرخ الناس في شقائهم منادين مستجدين العون، ملتجئين الهداية والإرشاد من خارج  
نفوسهم.

ولأن عممة الجهل تكتنفهم فلا يبصرون مشاعل الحكمة الدائمة الإِتقاد في هياكل أرواحهم ولا يعرفون  
أن الفرح دائم التدفق من ينابيع قلوبهم وأن قوة الله غير المحدودة تعيهم ولا تفارقهم أبداً.

فابحث أيها المريد عن الذات العلية في باطنك علك تختبر القوة الإلهية وتحيل السجن الأرضي إلى  
ركام فتستعيد حريتك السلبية التي طالما تشوقت لاستردادها والتنعم بأمجادها.

ومتى استعدت تلك الحرية المفقودة ستتواضع أمامك أقباس النور السماوي التي ستثير لك الطريق  
وتلهمك العزم والتصميم والشجاعة على مواصلة السير. وسيملاً النور قلبك بالفرح الذي لا قدرة  
لكلام البشر على تصنيفه أو توصيفه.

وبما أن المرء يرتقي بالفكر إلى قمم جبال الفهم فلا بد أن تفكر الأفكار النقية وتجعلها لروحك غذاء  
ولهموك دواء. فاحفظ بفكرك صافياً طافياً فوق مياه العالم الأجنة الآسنة، ولا تسمح له بالتكاسل  
والتهامل. واعلم أن الخمول هو من أكبر العوائق على الطريق إذ من العسير بل من المستحيل أن  
يصبح الخاملون المتواكلون أهل أحوال أو يبلغوا رياض العارفين.

الآن هي فرصتك الوحيدة:

(فأغتنم الفرصة إن الفرصة  
تصير إن لم تغتنمها غصة  
وفي الخطوب تظهر الجواهرُ)

## ما غلبَ الأيامَ إلا الصابِرُ

ومثلما قلتُ لك أقولها الآن: الأيامُ في تعاقبِ حثيثٍ وحبلِ العمرِ يقصرُ يوماً عن يومٍ، فتنبه وكن حذراً ولا تسمح لنفسك بفعل ما قد تندم عليه فيما بعد.

الإتحادُ يا بني أسهلُ من الإرتقاء حيث لا مقاومة ولا عوائق. لكن الإنسان لم يُخلق للهبوط بل للصعود إلى ذرى المجد التي تستحق التضحية والثبات والصمود.

العالم يزخر بالموت وبكل ضروب الإحباط والفشل. وقانون السبب والنتيجة يعمل الآن كما في أي وقت مضى بدقة متناهية. فالزم اليقظة في رَوْحَاتِكَ وِغَدَاتِكَ وعَمَلِكَ وتعاملك كي لا تصطادك شباك الوهم وتقع في فخاخ الخداع.

ومع هذا وذاك لا تضطرب ولا تجزع ، فرحمة الله واسعة مادام إيمانك قوياً ورجاؤك متواصلاً، وما دمت تداوم التفكير بمصدر وجودك وتعمل جاهداً على التواصل مع أمواج الخير والخواطر الزكية.

محبة الله تعني الشوق إليه، والشوق إليه يعني عمل ما يلزم للتقرب منه والوصول إليه مثلما فعل السابقون المقربون ذوو النفوس الرضية الذين فتح الباري عليهم وسارع لهم بالخيرات وأنعم عليهم بحفائق اليقين.

إعلم أيها المرید أن محبة الله هي النجم الذي تسترشد به في صحاري الوحشة وظلمات الجهل الكثيفة المترامية. وهي الصخرة التي تؤسس عليها صرح حياتك الراسخ والصامد لعناصر الزمن. فاحتفظ بمشعل المحبة متقدماً وهاجاً وناشراً الضياء من حولك في رحلتك نحو المقامات العليا وأصحابها المقربين.

طب نفساً ولينشرح صدرك فإن الله معك على الدوام ولن يتركك تتحسر وتتعثر ما دمت تغذ المسير وتغذي الشوق إليه وتتوكل عليه. فحافظ على جوهرة الحنين وامتلك خواطر الروح واستبشر لأن أكرم الكرماء وأرحم الرحماء سيرفع الغطاء ويجزل لك العطاء ويمتن عليك بدرر العلوم ونيرات المعارف التي طالما تشوقت لمعاينتها والتنعم بجمالها المعنوي الأخاذ. وستشعر آنذاك أنك قد وصلت بفعل حبك الروحاني وفضله تعالى وصرت في جيرة الله وجواره.

وتذكر أن الصبر الجميل هو أسم آخر لشجاعة المریدين، وأن ثماره الفجة المرة تتحول فيما بعد إلى فواكه رحيقية تستقي وتستجمع عصارته من خطرات القلب وخواطر الوجدان. ويا سعد من تذوق الثمر الإلهي المستنبت في جنان الخلد وعوالم الملكوت. فليطعمك الله يا بني وليجعل نصيبك مع أهل اليقين في الفردوس الموعود.

وما أن سمع المرید الصوت المعزّي حتى غمرته النشوة وهبت عليه نسائم الشوق فراح ينشد وقد ثارت براكين الوجد في أعماقه:

هذا الذي ملأ الفؤادَ سلامه  
والروحُ تعشقه مدى الآزالِ  
نورٌ وخيرٌ وعلمٌ فائقٌ وإذا  
نطقتُ إسمه وأفاني على الحالِ  
بحرُ النعيمِ ونورُ الدربِ يصحبني  
حيث أتجهتُ في حلي وترحالي  
مبعوثُ رب السما، مفتاحُ نعمتهِ  
وذو الشفاعةِ والأمجادِ في العاليِ  
هو المحبةُ في أنقى مظاهرها  
هو الصديقُ الصدوقُ المرتجى الغالي.



ومرة ثانية يتحدث الصوت المبارك قائلا:

إن كنت صادقاً في رغبتك لبلوغ الأقطار العليا فسيمتحنك القدير بالتهذيب حيناً وبالضييق أحياناً أخرى، ويضع أمامك كل ما من شأنه أن يقوّي عزيمةك ويشحن إرادتك بالحكمة والثبات إلى أن يتحول الضيق إلى سعة والنظرة المحدودة إلى رؤية واسعة. واعلم أن كل الهموم إلى فرج، وأن الشدة لا بد أن تزول، والصبر الجميل عاقبته جميلة وكل آت قريب.

يا بني، مهما بدت الحياة رغيدة والعيش رصيا يجب أن تطمح إلى ما هو أبعد من مجال التجربة المحدودة. الحجب التي تكتنف العقل الظاهر يجب تمزيقها حتى لا يبقى سوى حجاب العزة الذي هو الإعلان الختامي عن قرب الوصول إلى ظهور الحقيقة وحقيقة الظهور.

ثق أن الله سيحركك من هموم الحياة وأوهام الموت، وبالتعرف عليه ستدرك وجودك وخلودك. كما ستترفع عن الوعي باللذة والألم وتغتنب بحياة الروح وتحيا بغببتها على الدوام. وعندما يفتح الله عليك ويوقظ بصيرتك ستعاين نوره وتلمس حضوره، وستدرك كيانك الجوهرى واتحادك الروحي بوعيه الكلي.

واعلم أن الله هو الذي يضيء مصباح المعرفة في روحك لينير لك الدرب، وما عليك إلا أن تُبقي ذلك المصباح المبارك متألّفاً بنور الوعي والحكمة المقدسة.

وإذ يسكب الرحمن ماء الحياة من روحه المبارك في وعاء وعيك الجسدي ستحس بحضوره وملازمته الدائمة لك، وستدرك أنك تعوم في بحر حبه الكوني وغبطته الدائمة، فتتحول جداول الدموع إلى بحيرات من الرضا تتراقص على صفحتها نسيمات الفرح وابتسامات القناعة والرضا.

ولن يتركك وحيداً تصارع الأهوال وتقارع الأهواء، بل سيحركك من كل المنغصات ويزيل الغشاوة عن عينيك فتبصر بكل جلاء وتبتهج بحضوره السعيد.

إن ومضة واحدة من نوره البهي ستغرس في قلبك الشوق الدائم للتحرر من قيود الوهم التي تكبل الإنسان وتحد من قدراته فتبقيه لصيق الأرض، عديم القدرة على الابتعاد إلى ما وراء الأبعاد.

فإن كنت متعطشاً لروح الحرية وحرية الروح يجب أن تمتلك الجرأة لتقطيع خيوط التعلقات وحبائل الارتباطات التي تلف وتغلف كيانك وتبقيك رهين الأرض أسير الجسد.

عندما تلطم أمواج الرغبات قارب عقلك فاعلم في تلك اللحظة أن قوة ضاربة تحاول التأثير بك والهيمنة عليك. فلا تنس حقيقة الروحانية وتدفع بتهور لتحقيق مآرب الوهم وأغراض الخداع، بل استنجد بالقوى الكامنة في أغوار نفسك وستهب لنجدتك وتحركك من قبضة الشرير.

لا تخش الألم الجسداني أيها المرید بل تحمله بجرأة وصبر مدركاً في قرارة ذاتك أنه حالة عابرة لا تدوم. أما بالنسبة للألم النفساني فقد يكون مؤشراً ومذكراً لك على وجوب إعادة النظر في تفكير متنافر أو فعل مغاير لقوانين الله الكونية التي لا يمكن لأي إنسان أن يتحداها أو يتعداها دون أن يواجه عواقب تعديه ومضاعفات تحديه.

عليك بالتخلص من المفاهيم البالية والأفكار العتيقة التي لا تتناسب مع الطموح لبلوغ مشارف الإدراك. انزع عن عينيك عصابة التعصب وافتح قلبك للبشر على اختلاف مشاربهم، لأن من يصبو للوصول إلى سماء السعادات لا بد أن يغسل قلبه بالحب المقدس كي يصبح مرآة نقية لأطراف الروح.

اهدم الحواجز التي تفصلك عن الناس وعن إله الناس. اخرج من كهوف التقوقع والإنغلاق إن كنت تصبو لمعاينة شمس الحق السابحة في أفلاك الروح. واعمل على إظهار نقانك الطبيعي وطبيعتك النقية وستعرف عندئذ الفرق بين لذات الدنيا واللذات الباطنية التي يدعوها أهل الكرامات قوت القلوب.

لا بديل عن تنقية النفس من شوائب الدنيا قبل أن تتمكن من اختبار فيوض السعد المتفجرة من ينبوع الفتح الصمداني. فهنيئاً لمن يطهر الله نفسه ويجلو بصره وبصيرته فيعاين صورته جليلة في مرآة الصفاء.

واعلم أيها المرید أن مراتب الروح لا يمكن بلوغها بالتمني بل بمراقبة النفس وبالرغبة الصادقة والعمل المتواصل والتفكير الدائم بالإسم الأعظم. ومن يستغرق بحب الله – دون إهمال أو إغفال لواجباته والتزاماته – لا بد أن يصل يوماً ما إلى سماء الأنوار ويعاين مصابيح النفس وثريات الروح المتألقة في المجالس الإلهية.

ليت الروح الكوني المشرق على الأكوان بنوره  
ينعم عليك بأياته وبمعانيه أمجاد تجلياته  
ويمزج روحك بذاته الكونية  
ويظهر لك حسنه الشائق وروعة كماله الفائق  
وليوجه قلبك إليه ويجعل إحساسك بحضوره الدائم مستديماً.

فحضوره يتخلل الأرض والماء والنار والهواء  
وكل الاهتزازات الأثيرية للطاقة الكونية.  
إنه في الأشجار والأنهار، وفي الجبال ذات الشماريخ والبحار ذات الأعماق.  
السماء الزرقاء والسحب العابرة والشمس والقمر والنجوم كلها تتحدث عن وجوده ومجده.  
فليهبك الحكمة والحب الإلهي لتسير بعزم وثبات على الطريق.  
ولتتذكر أنه رفيقك الأوحى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

إنه روح الوجود الأبدي المطلق!  
وعندما تتأمل عليه ستدرك حضوره في كونه البادي وتبصر ومضات عقله الهادي.

وليهبك إشعاعات حكمته الذهبية  
وليملاً قلبك بالسلام وعقلك بالأفكار النيرة  
وليشع كيانك بأسره ببهائه الأقدس.

في ساعات القلق والتألم تفكر به  
وستحل عليك السكينة وتتذوق طعم الفرح.  
وعندما تحجب غيوم الهموم حضوره  
توجه إليه بشوق ولهفة  
وستحس به قوة وابتهاجاً في روحك.

وليفتح عينيَّ حكمتك علك تبصره في جماله المطلق واتساعه الكوني.  
ولتدرك طبيعته الكلية وحبه الشامل في كل يوم من أيام حياتك.  
وليملوك روحاً بالسلام والفرح.

إنه الحكمة الإلهية التي تبدد ظلام الجهل  
وهو الغبطة المتجددة والرجاء الحي بخلود الحياة.  
فهو من يثبت القلب ويغمره بالسلام  
عندما تحجب هموم الدنيا شمس التفاؤل بغيوم اليأس والقنوط.

وهو من يزيح الحجاب ويفتح الباب إلى آفاق الروح  
حيث يترنم الأمل بالفرح الأعظم  
وحيث الحياة ترقص على إيقاع الأزل!

ثق أيها السائر في معارج النور أن كنوز الأعماق وشهب الآفاق في انتظار أهل الشوق الطامحين لسماع كلمة الحضرة. وإن كنت متعطشاً لماء الحياة فهو ليس عنك ببعيد وكل ما تحتاجه هو البحث عن الواحة المباركة، وقد تُفاجأ إذ تجد ذلك الشراب المحيي موجوداً في أبار قلبك وأغوار ذاتك العميقة. فنقب عن ذلك الماء الأكسير واشرب منه ما طاب لك من كؤوس الحب الإلهي.

إن ذاتك العليا مخبوءة في باطنك. لكن التحدث عن تلك الذات الكريمة دون ملامستها لا يجدي نفعاً. وماذا عساک أن تعرف عن تلك الذات العليا؟ إنها مستقر كيانك الحق ومكمن كشوفات الغيب. فيها طاقات وقوى لا يعرف البشر كثيراً عنها. وفيها الغنى الذاتي وجواهر الخير التي امتلكها أقطاب الغوث وشهد بروعتها ذوو المشاهدة.

لا تتهيب الصعاب أو توجس خيفة من المجهول. ففي أعماقك قوى هاجعة لا تقهر إن أنت يقظتها ستقوى وتقوى على منازلة الصعاب في ميادين الكفاح وستفوز بمعركة الحياة.

وسيعرفك الله على حقيقتك الخالدة غير المقيدة بزمان أو المحدودة بزمان.

فعدما تعتصر قلبك الأحزان وتكتنفك الهموم كالغيوم اطلب العون بثقة وإيمان وسيحل عليك الفرح ويشع السلام من النور المبارك الكامن في آفاق الروح الباطنية. وستبصر إذ ذاك نفسك واحداً مع كل البشر والكانات وتحس بالحياة العظمى نابضة خفاقة في شرايينك وفي الطبيعة والبشرية من حولك.

ولا تغفل يا بني تهذيب الوعي الباطن الذي يتحكم بدوافعك ونوازعك. فإن تفكرت بالإيجابيات ورددت إسم الله بينك وبين نفسك سيتحول وعيك الباطن مع الأيام إلى مستودع لأفكار الخير يمد حواسك وعقلك بكل ما تحتاجه من زاد مبارك في رحلتك الموقوتة إلى أرض الأحلام والآلام.

الحياة دون تجدد تصبح عبئاً ثقيلاً مضجراً، فاعمل على خلق كل جديد ونافع لنفسك وللآخرين. وما دمت تفكر الأفكار النظيفة وتتفاعل بخير الله فستفتح أمامك آفاق تلوها آفاق من الأفكار والإنتطاعات العليا التي لا تنضب لأن مصدرها الذات الإلهية ذات الوجود التام والوجود الذي ليس له حدود!

ولا تغفل أيها المرید مصاحبة الضمير والاستهداء بمصباحه المنير. فالضمير هو خير صديق وهو فصل الخطاب بين الخطأ والصواب. فإن كان ضميرك صاحباً راضياً استطعت أن تعيش بطمأنينة وأن تتذوق راحة النفس ورحيق السلام. واعلم أن الحياة تقتضي مواصلة المجهود لتحسين الذات وإبراز مزايا الروح.

معظم الناس يحصرون همهم ودينهم في مرضاة الآخرين حتى على حساب ضمائرهم وتلك هي المراءة ومخادعة الذات. فرأي الناس منقلب لا يركن إليه ورضاؤهم قصير الأجل لا يعول عليه.

البعض يصمّون آذانهم عن سماع صوت الضمير الذي يتحدث دون انقطاع لكل من يريد السماع. ولا بد أنك تعرف أن الضمير لا ينام والمسامع لا يمكن سدها طوال العمر. فالصحوّة قادمة عاجلاً أم آجلاً ومعها وقفة جادة مع الذات.

ألا فليشرق نور الضمير عليك وينير منعطفات عقلك وزوايا حياتك، ولتسمع صوته الهادي هامساً لأفكارك وموحياً لك كل ما ينبغي فعله واجتنابه من أفكار وأفعال على طول الدرب. فاحفظ - حفظك الله - تلك الشعلة القدسية وقادة متألقة على الدوام في قدس أقداس الروح. وعليك السلام.

ثم يهمس الصوت مجدداً في سكينه التأمل :

يا بني: لطالما تساءلت مثلما تساءل قبلك الرواد والمريدون عن عنصر الوجود الذي عنه انبثق الكون وفيه يعوم. فاعلم أن الذي تسأل وتبحث عنه هو قريب ممن يثق بقربه وبعيد عنم يحسبه بعيداً.

ووجودك ليس منفصلاً عنه لأنك فيه تحيا وفي خضمه تعوم، وكيانك السببي مرتبط ارتباطاً عضوياً بكيانه الذي لا سبب له لأنه العلة والسبب لكل ما هو كائن وسيكون.

وعندما تتعرف عليه سيتوحد كيانك مع كل المستويات والعوالم.. المنظور منها وغير المنظور، وستدرك عندئذ المغزى العميق من الحقيقة العتيدة التي تؤكد بأن الله قد خلق الإنسان على صورته، وأن تلك الصورة ذات الجوهر الإلهي ليست خارج نطاق الجبروت حسبما قال الملهمون من أرباب الهمم الذين بلغوا مقامات التجرد وغاصوا عميقاً في بحور النور وأعماق المعارف.

ومتى تمكنت أيها المرید من ملامسة القلب الإلهي ستشرق عليك أنوار الإبداع ويغمرك الفيض الأقدس بوسائل المدد التي ستتوارد عليك أفواجاً وأمواجا تملأ البصيرة بجواهر المعرفة وتغمر القلب بغيطة الوصول إلى نبع الجود وعنصر الوجود.

هو الربُّ إله الكائناتِ  
هو الباري الكريمُ ذو الهياتِ  
هو روحُ الوجودِ والمدبرُ  
هو نبعُ المسرةِ في الحياةِ  
إذا الملهوفُ ناداهُ يجيءُ  
علي الفورِ كلمح البرقِ ياتي  
يزيحُ الهمَّ عن قلب المریدِ  
ويملأُ روحةً بالطيباتِ

وإذ تتوسع مداركك وتصفو رؤيتك سيتحرر عقلك من قيود الأفكار القديمة الضيقة المحدودة وسيصبح قلبك واحة رحبة للناس من كل المعتقدات والأجناس، وستدرك أن الصدق والإخلاص أقرب السبل إلى الحياة السعيدة. وستبصر الجانب الآخر من الصورة ولن تبقى متمزماً لأنك سترى روح الله في الجميع وستشعر بخفة الحب الكوني تعزف على أوتار قلبك الحديث التفتح والإفتاح.

وإذ يصفو بصرُك وتستنقظ بصيرتك ستودع مرة وإلى الأبد كل الأفكار الضيقة وتنطلق بكليتك نحو آفاق أرحب ورؤى أشمل، وستدرك المعنى الكامل في القول المأثور:

"حيث الطيبة والمحبة والشهامة والصدور الرحبة تأتي ملائكة الرحمن لتبارك القلوب وتشد على الأيدي الناشطة في أعمال الخير."

عما قريب سنزاح حجب الأوهام وستبصر المحبوب الإلهي وتتعرف عليه وتدرک أن الروح الأمين هو الذي ألهمك هذه الأفكار والتعاليم.

ذلك الروح المبارك يسكن روحك مثلما تسكن ذاته. فإن بقيت وفيأ له وداومت التفكير به سيسارع لك بالإلهام ويساعدك على التحرر من الوهم والتقلب على هموم العيش. إنه معك كل لحظة من لحظات عمرك ولن يتركك وحيداً ما دمت تحفظ الله في سرِّك وتناجيه في أعماق ذاتك وخلوات ضميرك.

واعلم يا بني أن المحبة هي منبع الفضائل وتحقيق الغاية واكتمال الناموس. بها يحيا الإنسان ومن دفنها يستمد قواه، وعلى سلمها يرتقى إلى أعلى عليين.

إنها أنبل وأجمل شعور يحمله القلب ويختلج به الوجدان. وهي أعظم دعاء يصعد إلى السماء وأخلص ابتهاج يلامس قلب الله.

هي مفتاح العقول والمشاعر على السواء، والنافذة التي تدخل منها الملائكة لبث الإلهام في نفوس الأنام.

المحبة يا بني تسكن الآلام وتخفف البلايا، مثلما تقدس النفوس وتعطر الأفكار بأريجها الفواح. هي الله لأنه محبة، ومن يمتلكها يمتلك كنزاً عظيماً لأنها بهجة النعيم المتجدد أبد الدهر.

المحبة لا تُفقد ولو قوبلت بالجحود.. بل تهب العزاء لروح المحب وتبارك حياته. بذورها خالدة أبداً وهي الثروة الوحيدة التي تتضاعف بمقاسمتها الآخرين كون ثراء المرء يقاس بما يمنحه. وأعظم عطايا الإنسان هي محبته لإخوته البشر ولكل مظاهر الحياة.

والمحبة تحتاج إلى دعامة أساسية هي العمل الذي هو سنة الحياة وناموس الطبيعة، والشرط اللازم للنمو والإرتقاء. فعن طريقه يدرك الإنسان غايته ويحقق مبتغاه. وإن كان الإعتدال يمنح الحياة والرونق والجمال، فالعمل يهبها القوة والشخصية والكمال.

ولكي يقترن العمل بالنجاح، ينبغي أن يصدر عن تفكير سليم وتخطيط حكيم، وأن لا يُنجز طمعاً في ثماره بل إكراماً للدافع الخلاق الذي يعرب عن ذاته من خلال أفكار الإنسان وقواه.

أعمال الإنسان هي الدليل الصادق والشاهد الناطق على ماهيته، مثلما هي المعيار الدقيق لمدى تقدمه على دروب الحياة. السعادة هي مطلب وغاية الجميع، والعمل المثمر البناء هو الوسيلة إلى تلك الغاية التي لا يمكن التوصل إليها إلا بخلوص النية وبذل قصارى الجهد في خدمة المجتمع والإبتعاد عن الأثرة المقيتة.

الصنيع النبيل يسري اهتزازة في الأثير ويلامس الوتر الأقرب من قلب الله. الأفكار السامية والمثل النبيلة لا شك أمور رائعة، ولكن إن أعوزها التنفيذ تبقى محض رؤى في عالم الأحلام ودنيا الخيال، أقرب إلى الأوهام من الحقيقة وإلى التصور من الواقع. العمل هو سر النجاح، وهو الجادة الموصلة إلى منابع السعادة.

العبقرية المثلى تكمن في الرغبة الصادقة في الاضطلاع بالعمل ولو كان شاقا يستوجب مجهوداً بالغاً. فالفعل النقي يعزز في الإنسان النقاء ويقوي فيه العزيمة الصادقة والإرادة الطيبة. وهو كالبذرة الصالحة التي تخلف ذات البذور التي لا تنعدم حيويتها ولا يتلاشى نشاطها وديمومتها.

الأفعال تترجم نوايا المرء وتبرز أفكاره، لأنه بنواياه وأفكاره يقاس. قيل أن في الفضيلة ثوابها، وثواب العمل النافع فرح الروح وراحة الضمير. العمل الصالح كنز لا يفنى ولا تؤثر به عناصر الزمن.

واعلم أن التأمل هو المرآة التي بها تنظر النفس ذاتها وترى صفاتها.. والطريقة التي بواسطتها تمازج قطرة الروح المستفردة بحر الروح الأعظم.

الأفكار تنتقى بالتأمل والقلب يصفو من صدأ الماديات وشوائب التعلقات غير الصحية، وينفتح على حقائق الحياة ويتذوق غبطة الوجود.

بالتأمل تسبح النفس في مياه الفرح وتسلك دروب المعرفة وتنعتق من القيود وتستشرف الأفاق العليا. ولامتلاك السعادة الحقة والاحتفاظ بزهرة العمر غضة ناضرة لا بد من الخلود للسكينة والغوص في لجج التأمل بغية إدراك الذات البشرية والإلهية.

في التأمل الصحيح أيها المرید يتحلل الفكر من الروابط والمحدودات المقيّدة ويتسامى إلى ذروة الإدراك الروحي. به تتطهر الأحاسيس وتتقوى الملكات وتتذكر النفس منشأها الأصلي فتتجذب إلى قلب نور الأنوار الذي عنه صدرت وإليه تحن وتشتاق الرجوع.

في التأمل يقف الإنسان وجهاً لوجه أمام الله وضميره وتبدو بواعثه الخفية وحوافزه الباطنية واضحة جلية.. فيبصر مدى تقدمه ويعرف مقدار قدره.

أما الفضيلة يا بني فتكمن في الاستظهار على المشاعر الذميمة والميول الدميمة، ومحو النوايا الظلماء من القلب والفكر. ليس بالمال يصبح المرء جديراً بالاعتبار ولا بامتلاك الحطام يحوز الفضل. فهناك شهامة لا يعوزها الإبتكار، ونبيل أسمى من القدرة على توليد المعاني.. تلك هي الفضيلة!

في موكبها أفرح دائمة، وبمسيرتها تخطر النفوس الطيبة. هي المحراب الذي يؤمه ذوو الضمائر الحية والحرم المبارك الذي يجمع شمل محبي الله، وهي قدس الأقداس الذي يلتسمسه الخيرون.

من الفضيلة تبرز الأمانة التي تهب الكرامة وعنها تنبثق الأخلاق الفاضلة التي توصل صاحبها للاحترام والتقدير، وكذلك العقل الهادئ الرزين الذي لا تؤثر فيه الأحداث ولا تطفئ شعلته زواجر الخطوب.

أما الروح فهي صورة الله وأعجوبة السماء. لا تعرف الموت لأن جوهرها الخلود، ولدى مفارقتها أرض الأحلام تنطلق بشوق متعاطف إلى مقرها السعيد الذي طالما تحسرت عليه وحنّت للرجوع إليه.

ثراء الروح يقاس بعمق شعورها، فإن هجرتها عاطفة المحبة فارقتها نعيمها. غذاء الأرض لا يسد رمقها ولا يروي عطشها سراب الصحاري. فهي دائمة الشوق والتعطش للحب والسكينة والسلام. إنها كالغريب الذي لا ينفك يحن لأهله ويتذكر موطنه الأصلي. للروح كنوز ولكن ليست من هذا العالم وتلك الكنوز وحدها جديرة بالامتلاك لأنها تدوم وما عداها سريع الزوال.

وهذه النفس ذات الأصل الإلهي غير خاضعة للنفاء، فقواها تلازمها ومسيرتها تتواصل مدى الأبد.

إنها كالشمس التي إن غابت عن صقع من الأصقاع أشرقت على سواه، وإن حجبها الغيوم يلازمها سطوعها وتستبقي على تألقها وإشراقها.

هي الجوهر الثابت المفكر، والعقل الجبار المدير. الحياة مدرستها والألم مذكرها بعالمها الفوقاني. والفضيلة هي جواز سفرها وتأشير دخولها ثانية إلى فردوسها المفقود.

أما الواجب يا بني فإن ساعات العمر ودقائقه تزخر بالالتزامات المفروضة من الواقع والتي تتطلب منك العناية والانتباه وإعطاءها حقها من الأداء الأمين بحسب قدراتك ومؤهلاتك الطبيعية.

الواجب هو ظل ملازم للإنسان، وهو همسة الحياة الدائمة للضمير اليقظ، والمفتاح السري لحقائق ناصعة ومدارك واسعة يعز مقاربتها واستيعابها إلا بتأدية الواجبات.

في أداء الواجب راحة النفس وسلام الروح. وفيه أيضاً تحرر من قيود وأغلال، وارتقاءً لقمم سامقة لا يبلغها إلا العاملون بأمانة وإخلاص، المقدرّون الواجب حق قدره.

بأداء الواجب تمتلك الثقة بالنفس التي هي الدعامة والأساس لكل تقدم وازدهار، وتُعطي القدرات اللازمة لتمكينك من إنجاز الأعمال الجليلة التي تعود بالنفع على الأفراد والجماعات.

الواجب هو نداء الإرادة الكلية والمقاصد السامية في حياة الإنسان؛ وأداؤه الأمين يعني الاقتراب من الطبيعة الروحية وملامسة وعي الإنسان للعقل الكوني الكامن فيه ومن حوله.

الأمانة في أداء الواجبات تقتضي مراعاة الدقة والإتقان في العمل، إذ تصح وتتألق الأعمال بالتعهد والرعاية لتصبح وردة أرجة في روضة السلام الذاتي النابع من تكريم الواجب فكراً وقولاً وعملاً.

ويواصل الصوت مشجعاً:

الطريق يا بني يلزمه الشجاعة ورباطة الجأش، فلا تسمح لوهن العزم بالسيطرة عليك ولا تجفل أو تتخذل أمام التجارب والصعاب. ولا تسمح للحزن بأن يززع توازنك أو يطغى على أحاسيسك مهما كانت المصائب كبيرة وضرباتها موجعة.

أما بخصوص الحزن على المفارقين، فاعلم أن من يحيا حياة طيبة ونافعة على الأرض ثم يفارق الجسد يبقى حياً بالروح في ركن من أركان الله الأمانة المأمونة حيث الطمأنينة والفرح والسلام أعظم بما لا يقدر مما عرفه في عالم الوهم والهم، عالم الحسرة والألم.

وتذكر أن الخط مفتوح دوماً بينك وبين أحبائك الذين سبقوك إلى أرض الله المباركة. فإن بعثت لهم بأفكار الخير والأمانى الطيبة يحسون بها ويتفاعلون معها فينشطون ويزدادون بهجة وبدورهم يرسلون بحبهم وشوقهم إليك فتحس به وتعلم أنك على تواصل معهم. فإن كنت متناغماً مع أرواحهم وكانت المحبة هي الأقوى في كيانك فستشعر بتيارات محبتهم تتوارد إليك وتتحدث صمتاً لروحك المنسجمة مع هؤلاء الأحبة.

أعلم أيها المرید أن الروح دائم البقاء وغير خاضع للنفاء، وأن الموت هو مجرد انتقال من حال إلى حال ومن مجال إلى مجال. وهذا الروح الذي جوهره من جوهر الله الواحد الأحد مقترن وجوده بوجود الله لأنه قبس من الضياء الأعظم الذي يحوي في كيانه المعرفة والقوة والديمومة والغبطة الأبدية.

هذا الروح بالرغم من اقترانه بالجسد لكنه لم يولد أصلاً ولم يميت يوماً بل يواصل مسيرته بعد موت الجسد في عوالم أخرى أكثر ملاءمة لأشواقه الزاخرة وقدراته غير المحدودة إلى أن يبلغ الوعي الكوني الذي هو منبع الفكر ورحم الخليقة.

وإذ يحن المرید شوقاً لذلك الوعي الأسمى يقول:

أيها الوعي الكوني،

ساعدني كي أبتهل من صميم قلبي وأعماق روحي  
لرؤية ومضة من نورك وإدراك حكمتك وهدايتك وحمايتك وسلامك.  
ودعني أبصر جمالك الذي يغمر الكون ويملأ الروح بالأنس والمسرة.  
وليشرق نورك المشع دوماً على قلبي ويملأ كيانتي بحضورك.

تحدث إليّ أيها الوعي الكوني في سكينه روعي..  
اجتذب نفسي إليك وقربها من صدرك الحنون عليها تصغي بشغف ولهفة لصمتك البليغ.

ليت إرادتك الكونية تقوي إرادتي فأدرك الألوهية الكامنة في قلبي وفي كل القلوب.

أيها الروح الكوني الحال في كل نفس  
أحن لإدراك وحدتي مع ذاتك المطلقة  
عني أبقى على دراية تامة ودائمة باتساعي غير المحدود.

عندما أتأمل عليك في محراب روحي  
أحس بقوى غامضة نابضة تفرع باب قلبي  
وأبصر روائع الجمال الإلهي في سماواتك اللامتناهية  
فترفني أشواقي إلى مصاف الجمال الكلي  
وأبصر أفاقك الأثيرية..  
وأسمع موسيقى أفلاكك العلوية..  
فتملني مباحج خليقتك..  
وأجد نفسي مترنماً بأمجادك،  
إذ أعابن تجلياتك القدسية.

أيها الوعي الشامل

وجه خطاي عبر متاهات العالم المظهري  
كي لا أسقط بعدها في خنادق وأخاديد الوعي المحدود.  
وحررني من القيود الذاتية كي تنبعث روحي من جديد

وتدرك وحدتها الأبدية معك.

إنك والحق الوعي المغبوط والغبطة الواعية..  
أنت الحقيقة الواحدة في الوجود..

لقد نفضت عني غبار التعلقات المادية  
وحررتني من عبء الأفاق الضيقة والأفكار الصغيرة.  
إذ لامست روعي وعيك الكوني.  
وعثرت حياتي على أديتك.  
وتذوق قلبي رحيق غبطتك.  
فما أشهى شراب حبك!  
وما أسعد التواصل معك!

يا من أطلقت الكون من ذاتك السرمدية،  
دعني أدرك أن كل شيء مستطاع عندك.  
فبارادتك وقوتك تشرق الشمس وتتألق النجوم  
وينمو النبات وتحرك الكائنات.  
حقاً أنك كيان الروح وروح الكائنات.

فكل ما في هذا العالم والعوالم الأخرى  
ينبض بحضورك ويظهر مجدك ويتحدث عن جمالك العجيب وعن حبك المذيب.

دعني أعثر عليك في كل شيء وأعثر على كل شيء فيك.  
دعني أبصر الوجه الأقدس في محياك..  
وأبحر في عينيك قاصداً شواطئ الأزل.  
وجه خطواتي بنور حكمتك وفرح قلبي بتشجيعك.  
ولأحس دوماً بحضورك في ذاتي..  
يا من أنت الفرحة الأبدية والروح السرمدية!